

سامي أحمد المومني

الإعلام العربي الأمريكي



30

7

30

7

30

7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإعلام الإرهابي الأمريكي

الإعلام الإرهابي الأمريكي

سامي أحمد الموصلي

الطبعة الأولى

2014 م - 1435 هـ

الفهرس

5	الفهرس
7	مقدمة
25	الإعلام سلاح
37	الإعلام سلطة سياسية
57	الإعلام أداة إرهابية
81	الإعلام الأمريكي إرهاب الداخل والخارج

مقدمة

حينما تقوم الآلة العسكرية الأمريكية بطائراتها ودباباتها وصواريخها بقصف المراكز الإعلامية في بدء الحرب على العراق.

وحينما تقوم هذه الآلة بقصف التلفزيون المصري.

وحينما تقوم هذه الآلة بقصف إذاعة طالبان في أفغانستان.

وحينما تقوم هذه الآلة بقصف مقر قناة الجزيرة في كابل.

وحينما تقوم هذه الآلة بقصف فندق فلسطين مقر المراسلين الصحفيين في وسط بغداد.

وحينما تفصح صحيفة ديلي ميرور البريطانية نية بوش بإصدار أمر بشن غارة عسكرية على مكاتب واستديوهات قناة الجزيرة في قطر.

وحينما.. وحينما يقتل أكبر عدد من الصحفيين في العراق بشكل لم يسبق له مثيل في أي حرب سابقة.

حينما يحدث كل هذا وغيره مما هو في سياقه فلابد أن تثار مسألة العلاقة بين الإعلام والإرهاب في دولة كل نشاطاتها تصب في مسألة مركزية هي اجتثاث جذور الإرهاب، فهل الإرهاب يكمن في نشرة أخبار أو صورة

تلفزيون أو كلمة صحيفة أو قتل مراسل أو تشويه حقائق على الرأي العام في الداخل والخارج؟

إن الإعلام تظهر من مظهرات الديمقراطية التي طالما يرفع شعاراتها قادة أمريكا في كل ناد وحوار، فلماذا تقصد الآلة العسكرية الأمريكية مراكز وصحف إعلامية في غزواتها قبل أن تقصد أسلحة ودفاعات البلد المغزو عسكرياً؟.

إن دور الإعلام في الحرب هو كشف الحقيقة، لأن الحقيقة هي أول ضحايا الحروب، وبالتالي تكون مهمة الإعلام باعتباره سلطة رابعة حيادية وموضوعية وصادقة وهي البحث بالكلمة والصورة والتحقيق عن هذه الحقيقة التي تتلبد أمامها غيوم المعارك وضباب التصريحات وأكاذيب الحرب النفسية بين الطرفين المتحاربين.

ولكن الإعلام الذي تقوم به أجهزة الدولة الغازية والمعتدية يجابهه إعلام الدولة المنزوعة والمعتدى عليها، وهذه مسألة تتقاطع حواراتها الجدلية على مستوى الكلمة والصورة، والصحيفة والتلفزيون والستلايت والانترنت كل بإمكانياته الإعلامية وأدوات هذا الإعلام،

أما أن تقوم أجهزة عسكرية وصواريخ وطائرات ودبابات بقصف وتدمير مراكز الإعلام، فهذا يعني أن المعركة تحولت من البحث أو إثبات حقيقة معينة يجب أن يقال إلى تعميم مقصود وتعمية على الحقيقة، فالكلمة تحاربها لكلمة وليس القذيفة، بل إن القذيفة التي تنقصد مركز إصدار الكلمة إنما تريد أن تقول أن الحقيقة هي القوة وليس الحقيقة هي الصدق والمصادقية والموضوعية، وإذا كان الإعلام سلطة وقوة وسياسة فله أن يستعمل سلطته وقوته وسياسته في قول الحقيقة للرأي العام، لأن أساس ممارسته الديمقراطية هنا تقوم على مسألة التشكيك والمساءلة والوقوف مع المهنة والموضوعية لكسب ثقة الرأي العام إلى جانب الحقيقة ومن ثم ممارسة حرية التعبير في إطار حقوق الإنسان المقررة في كل قوانين الأمم المتحدة ومواثيقها.

أما أن يتحول الإعلام إلى تابع لتعليمات وتوجيهات القيادات العسكرية بأداء الوقوف في صالح الوطن المزعوم والوطنية المزعومة فهذا خروج عن المصادقية والموضوعية والمهنية بل وكل مفردات الإعلام الحق.

لقد تحول الإعلام من هوية الحيادية في كشف الحقائق إلى هوية المدافع حتى بالكذب عن مواقف القوة العسكرية الحاربة، وبدلاً من أن يكون رديفاً للجهد العسكري في أحسن مواقفه أصبح جزءاً لا يتجزأ منه وبذلك سقطت

موضوعيته وفقد هويته كإعلام مهما حاول أن يقدم من تبريرات كالضغوط التي مارس عليه.

إن أكبر فضيحة للإعلام الأمريكي البريطاني كانت في حرب العراق حتى صدر كتاب كامل بعنوان اكلب علي من تحرير ديفيد ميلر عام 2004 في لندن ليكشف ويفضح هذه الممارسات التي أصبحت اليوم وبعد انكشافها بما دليلا على فقدان هذا الإعلام مصداقيته وهويته وحياديته وبالتالي دعاواه الديمقراطية والأمثلة كثيرة على ذلك.

لقد كانت الكلبة الأولى التي ادعاها بوش وقادته العسكريون وإعلاميوه البيفاريون أن الحرب على العراق كانت لامتلاكه أسلحة دمار شامل، بل إن بلير كذاب كذبة تاريخية لم نعرف كيف صبر عليه بعد انفضاحها نظامه الديمقراطي، هذه الكلبة في قوله أن العراق يستطيع خلال خمس وأربعين دقيقة أن يقصف بأسلحة الدمار الشامل ما يشاء من أهداف، واخذ الإعلام الأمريكي الإنكليزي بأبوابه المختلفة والنشاز يردد هذه الأكلمة بدون البحث عن أي مصداقية حتى ولو كانت واهية لدعائها أو التشكيك فيها حتى تصدق على الأقل، وقد كانت هذه الكلبة أهم عنصر من عناصر الدعاية للحرب التي أثرت في الرأي العام البريطاني والأمريكي.

هكذا مارس الإعلام الأمريكي البريطاني سلطته فوضعتها في خدمة لعسكرياتارياء وبالتالي أصبح إعلاما تابعا ومتقذا لقرارات القيادات العسكرية يردد تصريحات قادتها حتى ولو كانت زورا وبهتانا، كل ذلك باسم الاصطفاف الوطني مع البلد على حساب الحقيقة التي غابت وغيت عن الرأي العام فلم يكتشفها إلا بعد أن أنجز العسكري مهمته القتالية بدعم معنوي مزيف.

إن الاعلام الأمريكي الذي كان مضرب المثل في موقفه من حرب فيتنام حتى انه اجبر الرؤساء الأمريكيين على الانسحاب بعد فضح واقع الحرب وفشلهم في تحقيق أي نصر عسكري حقيقي على الفيتناميين وبالتالي كشف حقيقة استهانتهم بحقوق الإنسان واستخدامهم الأسلحة المخرمة دويا... الخ هذا الاعلام الذي اخذ شهادة حسن سلوك عالميا عاد ليتحرر في العراق أمام القادة العسكريين باصطناعه الأكاذيب لإيهام الرأي العام بالتصارات وشعارات مزعومة.

حينما كان القائد الياباني الساموراي يفشل في معركة لم يكن أمامه إلا الانتحار بسيفه معترفا بفشله ومحافظا على كبرائه وقد تكررت هذه الممارسات في حروب اليابان الأخيرة حينما انتحرت مجاميع من الجنود بعد فشلهم في مهمات أوكلت إليهم أما القائد الأمريكي والبريطاني فإنه اليوم

باسم الديمقراطية يبقى في حكمه مهما كانت درجة فشله العسكري محتطاً جواد الكذب الإعلامي الذي يوصله إلى نهاية فترته الانتخائية، ولا ألم يكن أولى وأجدر ببلع وبوش الانتحار بعد كشف أكاذيب ادعاءاتهم في حربهم على العراق التي بدأت بفشل مبني على الكذب الإعلامي وانتهت ولا زالت بفشل ادعاءات تيقظ الإعلام متأخراً ليفضحها؟

بل إن كشف الوثيقة السرية المتضمنة ما ذكره بوش من أنه قد يصدر أمراً بشن غارة جوية على مبنى ومكاتب واستوديوهات الجزيرة في قطر، ألا يجعل هذا إعلاميو أمريكا الأحرار يطالبوه بالالتزام بشيء من الأخلاقية الأمريكية ولقيم التي بنت أمريكا في محافظتها على حرية التعبير والديمقراطية؟

إن قتل الصحفيين باسم خطأ القصف، وكسر أجهزة التصوير الصحفي أمام الكاميرات، وغلق المناطق ومنع التصوير فيها عندما تتم عملية عسكرية إلا من قبل من اختارتهم القيادة العسكرية لذلك من الذين يعبرون عن وجهة نظرهم فقط؟ أليس يعني هذا أن حرية التعبير في دولة ديمقراطية مثل أمريكا قد أصبحت هذه الحرية مقيدة مثل أي دكتاتورية في العالم الثالث؟ أين هي القيم الأمريكية الديمقراطية والأخلاقية التي أرساها قادة أمريكا الأوائل ودعوا إليها في كل خطبهم وشعاراتهم؟.

لماذا هذا التصاعد الكبير في عداء أمريكا للإعلام وأجهزته في كل أنحاء العالم؟ هل من الغريب القول في ضوء هذا أن كراهية أمريكا من قبل العلم، جمع أصبحت أكثر فأكثر لكل هذا؟

ألا يصدق الوصف الذي جاء في كتاب -أكذب علي- كشهادة على هذا الوضع المتساوي للإعلام الأمريكي والبريطاني في الحرب على العراق والذي يقول بأن الانطباعات العامة التي ترددت في معظم بقاع العالم كانت مخوم حول اتهام مركزي موجه إلى الإعلام الغربي أو بدقة أكثر الإعلام الأمريكي -البريطاني- لتلفزته على وجه التحديد، مفاده أن هذا الإعلام انحاز بتياراته لرئيسية إلى منطق الحرب، ولم يسأل القائمين عليها كما هي أصل مهنته المساواة والتشكيك - بل عبّ عن ذلك ضحى بالمهنية والموضوعية ودرس على كل المدارس الإعلامية التي كان رياديا في تكريسها في حفل الإعلام وثمنس في خندق الحكومات -.

هل من حق القيادة الأمريكية في واشنطن أن تصدر للإعلاميين قرارا وإلى محطات التلفزة الأمريكية خاصة تطالبها بأن يكون موقفها وبثها إعلامي خلال الحرب وطينا ومنسجما مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية؟

فأين هي السلطة الرابعة والديمقراطية والرأي العام وحرية التعبير ومن ثم الموضوعية والحيادية والمصداقية والمهنية ومن ثم شهود العيان الذين لا يكذبون؟

إن الذي حدث في حرب العراق إعلامياً وصفه أحد الكتاب بقوله - لم تعد المؤسسة الإعلامية الغربية الأمريكية كما البريطانية كما العديد غيرها مطالبة في ظل حالة الحرب -هاته بنقل مجريات الأحداث كما تترأى لها بأرض المعركة، ولا وفق ما تقدمه الجيوش بل غدت تحت هذا المسوغ أو ذاك تعمل على تطويعها وإحادة إخراجها بما يتساقق والخطة العسكرية أو نزولاً عند رغبات الرأي العام أو جبراً لنفسية العائلات المكشوفة التي تم الزج بأبنائها في جبهة من العالم لربما لن يستطيع المواطن الأمريكي أو البريطاني تبين موضعها على الخريطة -

إنه إذن خديعة كبرى لكل من يتعامل كقاري أو مشاهد مع معطيات هذا لإعلام من خلال هذا التزييف والتزوير والموقف المسبق وإصدار الأحكام على الحيشات من موقف سابق على الحدث لا منطلقاً منه ولا اتخاذ كشاهد إثبات بنفسه إنما شاهد زور على هدف ورائه جاء من تعليقات عسكرية باسم لوطنية لا من وثائق أو صور حقيقية واقعية.

ها نرى أن الإعلام قد ألغى نفسه وصادر مسؤوليته ومهنته ونزع سلطته لحساب أمر يتجاوزه، حتى ولو كان هذا الأمر مخالفا لقيم أخلاقية العمل والمهنة الإعلامية، وهذا قد يفسر لنا لماذا حشدت أمريكا أكثر من ثلاثة آلاف صحفي يرافقون عملياتها العسكرية مع خمسمائة صحفي في بعض قواعدها في الخليج، ليس الغرض هو جرهم جرا إلى نزع مهنتهم الإعلامية الحقيقية الحرة وتوظيفها لخدمة العسكر تاريا وأوامرها وتعليماتها؟.

على أن الأمر لم يقف عند حدود تزوير الإعلام لهويته لحساب وطنية مفترضة عسكرية وتعليمات قيادة عليا في واشنطن، بل تجاوز الأمر إلى معنى أكثر تدميرية لعمل الإعلام هو حرب الإعلام على نفسه، فإذا كانت القيادة الأمريكية في سلوكها مع الإعلام كما ذكرنا- قد عسكرة الإعلام بطريقة لم يشهدها التاريخ من قبل سواء بعدد الصحفيين الكبير الذي يشكل جيشا بمعنى الكلمة غرضه التزوير والكذب والنطق بما يخالف الواقع المشاهد وتطويع المعلومات والأحداث لسياقات خدعة غير موضوعية بل وغير شريفة، إلا أن الأمر تجور ذلك إلى أن يصبح الإعلام ضحية وأول الشهداء في هذه المعركة لغية

فإذا كان الإعلام شاهد صادق على أي شيء، فإنه في هذه الحرب لم يكن شاهد زور فحسب، بل كان مساهما مساهمة حقيقية في خلق الكذب، لأن هذه الحرب حقيقة كانت حربا إعلامية بمقدار إن لم يكن أكثر من أن تكون حربا عسكرية، والحرب الإعلامية ضد الإعلام نفسه فكلا التبتلين فيها ضحية اختراقات عسكرية للإعلام أولا وضحية فقدان المورية كشاهد صادق على الأحداث ثانيا.

ويظهر ذلك بدءا من محاصرة قوات التحالف الأمريكي-البريطاني لمطبة ابو ظبي القضائية بغرض الحيلولة دون انتقال صحفييها لتغطية ما جرى من مجازر بضواحي بغداد وأحيائها، ثم قصف مقصود- وليس خطأ كما يدرون- لمركز الصحفيين بفندق فلسطين بقلب بغداد ذهب ضحيته صحفيون من الجزيرة ومن التلفزيون الإسباني ومن وكالة رويتر.

كما يظهر أيضا من جعل الإعلامي رهينة لا يث إلا ما سلمته، لآلة العسكرية السياسية تحت تهديد قوه مدفع أو تحت ضغط فائده بعين المكان. وهكذا وصل الإعلام والإعلامي في حرب الإعلام هذه إلى أن يقف ضد نفسه وضد مهنته فهي حرب إعلامية تم فيها قيام الإعلام بجرائم حرب إعلامية مما قد يستدعي محكمة جرائم إعلامية كما هي جرائم الحرب العسكرية.

وهكذا أيضا لم تعد المؤسسة الإعلامية مصدر سلطة من شأنها العمل على بلجم سلطة السلاح والحرب أيا ما تكون المبررات تلك، بل أصبحت كما يقول أحد الكتاب- مكونا من مكوناتها وعنصرا من عناصرها وأداة القرار التي على خلفيتها يتم كل هذا أو ذاك -.

على أننا يجب أن لا نغفل- ونحن نحلل طبيعة الإعلام الأمريكي وانياقه بل وندغامه وذوبانه في قرارات المؤسسة العسكرية من خلال الحرب على العراق - الإشارة إلى أن أكبر محرك مفتعل للسياسة الأمريكية ومن ثم المؤسسة العسكرية كان شعار الحرب على الإرهاب الذي طرح قبل أحداث 11 سبتمبر حينما وضعت دول على أساس أنها محور الشر منها العراق وإيران وكوريا الشمالية، وبالتالي كانت السياسة تبرمج تحت هذا الشعار، ثم حدثت الانتقال الكبيرة بعد أحداث 11 سبتمبر حيث خلب المنطق العسكري المنطق لسياسي والإعلامي على السواء.

وكانت حاجة قادة أمريكا إلى حرب للتفيس عن الاحتقان لدى لشعب لأمركي، مما جعل قادة البيت الأبيض يرفعون شعارا ضد كل مفاهيم الديمقراطية هو شعار من -ليس معنا فهو بالضرورة ضدنا- وطالبو بصطفاف العالم وراءهم للحرب على الإرهاب ولا بد أن يكون الإعلام بجانب القيادة

العسكرية التي تغلبت حرب أفغانستان ثم احتلال العراق، وإذا كانت الحرب على العراق كما يقول هيكل ضرورة أمريكية شعبية بتعبير بوش وأجندتها هيكل يقول - أحوال إنسانية، وصراعات سياسية، ومطالب إمبراطورية، وضرورات بيروقراطية، ولسوارم انتخابية، وكله يتداخل ويتخلط في وعاء طبخ، القور الأمريكي، وددك طبق يحتاج إلى محسنات للطعم ولمسات جمال على شكل ترضي الذوق وتفتح الشهية وعندما تجيء لحظة إضافة المغريات من نوع، أسلحة الدمار، إبعاد الدكتاتور، ضمان حقوق الإنسان، ومستقبل الديمقراطية.

إلا أن الإعلام لعب دورا رئيسا في الإعداد والتغطية أكثر حتى من الجهة السياسية الذي تراجع دورها لحساب الإعلام والتلفزيون الذي أخذ يقود السياسة والسياسيين مما يعني أن السياسة أصبحت تصنع على مواصفات يهيمها أكبر قدر من التأثير وليس أكبر قدر من الحقيقة، حتى أن عملية الانتخابات الأمريكية بمجملها تأثرت بالإعلام وصناعة الإعلام وتوظيفه لصعود درجات البيت الأبيض، وبعد انكشاف الحقائق بعد احتلال العراق وسقوط كل الشعارات التي دفعت أمريكا لاحتلاله من كونه يملك أسلحة دمار شامل ومن علاقته بالقاعدة التي قامت بأحداث 11 سبتمبر وغيرها من مبررات كان لابد

لشعار الحرب على الإرهاب أن يبقى متوزعا في الوعي الشعبي الأمريكي لحساب استمرار التأييد لسياسة بوش في صناعة عالم الشرق الأوسط الجديد من هنا دخل برعب والإرهاب والترويع كمفردة أساسية ومضمون يكرر كل يوم في وسائل الإعلام الأمريكية.

إن الهاجس الأكبر للسياسة الأمريكية هو مسألة الأمن الخاص بها، والذي جعلته أحداث 11 سبتمبر في أول قائمة الأولويات، وكان على الإعلام أن يساهم في توظيف معطيات الإرهاب بحجة الدفاع عن الأمريكي أينما كان، إن أمريكا في بحثها عن أمنها الذاتي خارج العلاقات الدولية المتوازنة جعلها تعيش الإرهاب يوما بيوم في تفاصيل حياة الشعب الأمريكي، وكان أن زرع الإعلام هذا الترويع بالإرهاب في زاوية سيكولوجية من شخصية الأمريكية، حتى أصبح هوسا نفسيا جماعيا حيث أن تسويق الخوف كان من أبرز ما عتمدته الإدارة الأمريكية منهجا وسلوكا ووظفت لتمريره منبر الصحافة والإعلام، وهذا قاد بشكل غير مباشر إلى جعل الإعلام الأمريكي إرهابيا كما يقول أحد الكتاب وبالتالي لم يعد الخوف منذ الحادي عشر من سبتمبر لازمة نفسية إنسانية تطفو وتحفت، بل أصبح هوسا نفسيا جماعيا لن

يتبنى التخلص منه إلا بالتخلص من العناصر التي تشيعه وتفرسه في الموس
بقوة لتكرار وتتخذ منه مذهباً ومسلية -.

لقد صنع الخوف والترويع من الإرهاب إعلامياً ما يسمى بالإرهاب
الإعلامي خاصة بعد أن ركز الإعلام على إقناع الأمريكيين أن هناك مؤامرة
تستهدف الحياة الأمريكية وحضارتها حيث يردد أحد الكتاب قوله - لم يتصور
الأمريكيون نتيجة ذلك حتى مجرد التصور أن هذا المسوخ سيرههم لا محالة إلى
مآل نهابة، سيرههم كدولة وقوة، وسيرهم كإعلام إرهاب -.

هكذا أصبح الإعلام أداة الجريمة التي تمت في العراق فهل يحق لنا بعد كل
هذا أن نقول إن الإعلام الأمريكي للداحل والخارج - أصبح إعلام إرهاب
حقاً؟

ن الخلاصة التي توصل إليها أحد الباحثين وهو يتحدث عن سقوط
الإعلام الأمريكي من مثاليته ونموذجيته في حرب فيتنام وفي حريته وموضوعيته
ركونه سلطة رابعة إلى أن أصبح في المحصلة النهائية هيمنة شبه مطلقة في
الحرب على الإرهاب من جانب المؤسسة العسكرية على وسائل الإعلام
والاتصال، وهيمنة هذه الأخيرة على ما سواها من وسائل الإعلام .

إن أمريكا بدلا من أن تقضي على الإرهاب بشعار اجشاث جذور الإرهاب التي أفرزتها أحداث 11 سبتمبر فإنها تعدتها إلى شرعنة إرهاب الدولة، وهكذا نرى أن الإعلام الأمريكي اتخذ قيادة مصطلح حرب الحضارات عبر توظيف مفهوم الإرهاب الإسلامي حتى بدون أي دليل على ذلك بغرض حرب الإسلام إعلاميا، فدعوة كبار الساسة الأمريكيين ومستشاروهم العسكريون والمندوبون لتطبيق شعار من ليس معنا فهو بالضرورة فهدنا قد مدرسه الإعلام وروج لمضامين الحروب الصليبية الحضارية الجديدة.

إن دراسة دقيقة لمعطيات الإعلام الأمريكي بضوء التصريحات السياسية والعسكرية هذا الشعار قد أدت فعلا إلى ذلك، فبقدر ما تسرع المستوى السياسي والعسكري في تحديد الجناة - وأبدى عزمه على ملاحقتهم واستئصال جذورهم لا مقاضائهم، بقدر ما سار الإعلام على نفس المسار ونسج على منواله وكيف الرأي العام الداخلي منه بالأساس للاصطفاف وراء ذلك القرار - فهل نتجنى على هذا الإعلام حينما نصفه بأنه إعلام إرهاب أمريكي؟

الإعلام سلاح

الإعلام سلاح

حينما كان نابليون يمارس قيادته العسكرية على جنوده، ويستخدم كل الأسلحة العسكرية في حروبه، لم يكن وهو المشهور بعبقريته العسكرية وفتوحاته ليسمى سلاح الإعلام، وما يمكن أن يفعله بالحرب ضد أعدائه في لدحل والخارج، رشد ما كان يغيضه النقد البسيط في الصحافة إذا وجه إليه، مما جعله يكتب رسالة إلى فوشيه يطالبه بسد باب النقد والانتقاد على الصحف أو يضطر إلى إغلاقها، جاء في رسالته تلك (اقمع الصحف أكثر، واجعلها تنشر مقالات جيدة، وإلا فإني سأوقفها كلها ولن أترك سوى واحدة، لقد انتهى زمن الثورة، ولم يبق لي فرنسا إلا حزب واحد، ولا شيء بولمي وبير خوفي أكثر مما تنشره الصحف لتعيق مصالحنا).

على أن التشبيه الذي استخدمه نابليون كما نقله عنه مترنيخ في هذا المجال وغدا مضرب الأمثال في السلطات التي تتمتع بها الصحافة والصحافيون، هو الذي جاء معبرا أكثر عن قوة سلاح الإعلام في الحرب حيث يقول مترنيخ نقلًا عنه قوله (إن مقالة صحافية تساوي جيشًا من 300 ألف رجل...وهؤلاء لا

يراقبون الداخل ولا يخيفون الخارج أفضل من دزيتين من حالات الصحافيين⁽¹⁾.

تري هل الإعلام يمكن أن يكون سلاحا حربيا حقيقيا؟ وما هي الإمكانيات التي يستطيع أن يحققها في الحروب المعاصرة بعد أن حدثت ثورة المعلوماتية وثورة تكنولوجيا المعلومات ومعطيات العوالة؟.

في مراجعة تحليلية معاصرة لعلاقة الإعلام بالحرب، يتحدث أحد الكتاب المعاصرين قائلا (كلما كانت هناك حرب فتنة إعلام، وكلما كان هناك إعلام فتنة ثلها معلومات ومعطيات وبيانات، فالمعلومات بما هي مادة الإعلام وأداته كانت ولا تزال حصب الحرب، كانت وستبقى أحد عناصر الترتيب والإعداد هذه الأخيرة واحد أهم العوامل للحسم في مسارها وتوجهاتها)⁽²⁾.

ولاشك أن ممارسات الحرب قديما كان لها بعد إعلامي سواء عبر الحرب النفسية ومعطياتها أو عبر تسريب أخبار كاذبة أو إشاعات للتأثير على العدو، أما اليوم فإننا نجد أن (مختبرات الحرب ومصانعها خدمت عن دراية في حالات، وعن تغافل في حالات أخرى المؤسسة الإعلامية-بما هي مجمع المعلومات

(1) م ص 376.

(2) التكنولوجيا والإعلام والديمقراطية ص 64.

ومورعها ومروجها، وليس من الشلوذ في شيء إذن أن كانت المؤسسة العسكرية تدعي لنفسها منذ القدم ما يشبه الأبوية على هذه المؤسسة الإعلامية، وإن تعتبر هذه الأخيرة بمدى مالها من دين إزاء الأولى⁽¹⁾

لقد أطلقت مصطلحات الحروب الإعلامية على ممارسات كثيرة بعد أن أحدثت التكنولوجيا تغزو مساحة الإعلام بعد أن غزت مساحة الحرب ومعاركها، وهذا ما جعل التطورات التكنولوجية والمؤسسية التي طالت فنون الحرب - وأساليب تخطيطها وتنفيذها لم تستثن من تيارها المؤسسات الإعلامية والاتصالية بما هي تقنيات وترتيب وتخزين وترويج للمعلومات، بل إن هذه العلاقة وصفت بالتلاحمية بين الإعلام والحرب حتى درجة الانصهار ليطلق عليها حرب المعلومات، أي تطويع المعلومات بغرض توظيفها لأغراض عسكرية وقاتلية محددة.

يقول أحد الباحثين للعصرين (إن الحرب الإعلامية المرتكزة على بنى للمعلومات متقدمة، ومعطيات مؤمنة هي في ما تتصور أقوى حروب القرن المتوافر حالا وفي المستقبل، بمعنى أنها مطلوبة لأن تكون بدورها افتراضية حتى

(1) التكنولوجيا والإعلام والديمقراطية ص 65.

يتبنى لها معارضة الإرهاب بأدواته وفي حقها داره كما يقال، وهذا ما تعمل مختبرات البحث العسكري على صياغته وتطويره⁽¹⁾.

ومما لا شك فيه أن حروب الإعلام لم ولن تقف على قضية اجتثاث جذور الإرهاب كما يدعي ممارسوها، بل إنه يصل إلى حدود تسرعة إرهاب الدولة كما هو الحال في الإعلام الأمريكي - كما سنرى - فشواهد التاريخ العسكري كثيرة في الدلالة على استخدام الإعلام العسكري كسلاح حربي، بل إن مصطلحات الحرب نفسها أخذت تطلق مجازاً على ممارسات هذا الإعلام فأخذنا نسمع في قاموس الإعلام أنه ما يكون بقاموس الحرب بل يتضمنه من مصطلحات⁽²⁾ كالهجوم والدفاع والتجسس من مثل وإبل الرسائل، والعمليات الإعلامية، المعارك الكلامية، الإذاعات الموجهة، الملوان الإذاعي، استطلاع الرأي، الغزو الثقافي، الغزو الإلكتروني، الاكتساح الإعلامي العنف الترفيهي، العنف الرمزي.

بل يصل الأمر بأحد الباحثين أن يتحدث عن التلفزيون كآلة حرب كاسحة وكأنه يتحدث عن سلاح عسكري فريد حيث يقول (أصبح التلفزيون

(1) ن م ص 68

(2) ثقافة العربية وعصر المعلومات ص 350

وعيره من وسائل الإعلام آلة حرب كاسحة لا بد أن تنصدي لها بالدروع
والمتاريس، ألم نسمع عن القمر الصناعي للبيت التلفزيوني الذي كانت الولايات
للمتحدة تحت إدارة جورج بوش الأب تنوي إطلاقه بهدف إسقاط حكم كاسترو
ملكها في كوبا؟⁽¹⁾

لقد صنف الإعلام على أنه من القوى اللينة مقارنة بالقوى التقليدية
الصلدة، ولعل هذا يعود إلى أنه لا يحمل مدفعا أو رشاشا أو قنبلة ولا يهدف إلى
مثل ما تفعله هذه الأسلحة بل إلى أعمق وأكثر من هذه، حيث تعمل آليات
الإعلام حرييا بسلاح (الجذب لا بالضغط، وبالترغيب لا بالترهيب، وتستخدم
لغة العقول والقلوب من أجل اكتساب الآراء لا كسب الأرض، ومن أجل
التزاع الإرادة الجماعية لا نزع السلاح والملكية، ومن أجل فرض المواقف وزرع
الآراء بدلا من فرض الحصار وزراعة الألغام، ونستطرد في حديث الفوارق بين
القوى اللينة والقوى الصلدة لنشير إلى كيف أصبح توسيع نطاق الإعلام في
مقام نشر انغوات وأصبحت الأجنحة في مقام التكتيك، والهوائيات والفضائيات
في مقام ترسانات الأسلحة ومنصات الصواريخ، ومن حيث أسلوب الممارسة
تختلف القوى اللينة زمنيا وجغرافيا وكون القوى الصلدة لا تستخدم إلا في

(1) ن م ص 350

حالات الضرورة القصوى ودون ذلك فهي قابضة هناك للردع لا للفعل، في حين تمارس القوى اللينة بصورة مستمرة ودائمة وعلى عكس القوى المادية التقليدية، كلما زهفت القوى الرمزية واستقرت وخفت فيها نبرة القوة وفجاعتها ازدادت قدرتها وتغلغل مفعولها لينفذ إلى طبقات اللاوعي الفردي والجمعي حيث يفعل فعلته خفية بصورة لا إرادية أو شبه ذلك⁽¹⁾.

لقد كانت الحروب تخاض بالأسلح كما كانت تخاض بالكلمات منذ فجر التاريخ لتتفوق وتتجاوز في فئتها فعالية الأسلحة، ويمكن التذليل على⁽²⁾ حجم التخوف الذي يجعل الكلمة مقصلة قادرة على القتل وتهيئة المعارك وإذكائها عن طريق تشويه الصور وحقن النفوس والتحفيز على التدمير، وهذا أمر أيضا في صلب الصراعات العسكرية والسياسية ويدرس في الجامعات مادة أساسية في الدعاية السياسية والحروب النفسية وعلم الإشاعة وتضليل الحقائق وتشويهها كهاب في هزيمة الآخر وإعادة إحيائه.

لقد استخدمت الدول الاستعمارية الإعلام في غزواتها واستعمارها لشعوب ودول مختلفة حيث (ظل الإعلام باعتباره أحد مكونات المعرفة مرتكزا

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص 349.

(2) الإعلام العربي وأنهيار السلطات القوية ص 203.

هاما في مثلث السلطة الاستعمارية إلى جانب القوة والثروة، ويبرر ممارساتها اللاإنسانية ضد الهنود الحمر في أمريكا الشمالية والزنوج في أفريقيا وشعوب آسيا وسكان استراليا الأصليين تفقد قنوات الاتصال المتمثلة بالكيانات تحت البحار مع امتداد حركة الجيوش وخطط سيرها، واستخدمت لإذاعة السمعية فور ظهورها في عمليات الدعاية والتوجيه والتحرير من الخدمة الإمبريالية⁽¹⁾.

لقد كان من أصنف ما قام به الإعلام لتنفيذ المهام الإمبريالية الجديدة هو وقوفه أمام التدفق الواسع من الشعارات والأحداث التي يتم بثها إلى المجتمعات المستهدفة والتركيز المتواصل عليها عبر الأفكار والمعلومات والصور والمناطق القيم الجديدة لقادمة من الخارج والتي لم يكن للمجتمعات دور في إنتاجها وصياغتها، وقد ساعد ذلك في خلق أزمة هوية لدى هذه المجتمعات كما أدى إلى العصبية القبلية بشراة في أفريقيا وإلى الطائفية في الهند والمذهبية في باكستان وأفغانستان ولقومية الضيقة في البلقان والتطهير العرقي والعنصري الإسرائيلي في فلسطين⁽²⁾.

(1) هم اجتماع الإعلام ص 122

(2) هم اجتماع الإعلام ص 127

على أن الحرب على العراق كشف قدرة هذا السلاح الرهيب كما استخدمته الولايات المتحدة كما يقول أحد الكتاب في شهادته عنها حيث جاء (ففي معمة الحرب احتل الإعلام موقع القلب، وكان إن نظر له باعتباره رديفاً استراتيجياً لا يمكن التعامل معه بخفة، ولم يتم الاعتراف بمركزته فقط في دعم الجهود الحربية، بل اعتبر جزءاً لا يتجزأ وأساسياً من ذلك الجهود، وإذا كانت الحقيقة هي أولى ضحايا الحروب كما يقال لكن هذه المقولة المعروفة كان يجب أن تدفع بالإعلام إلى كسر القيود التي تفرض عليه للحيلولة دون الحقيقة وليس للاستسلام لما تتضمنه، لقد سقطت الموضوعية والمهية من الإعلام الأمريكي - البريطاني حينما صدرت توجيهات لهم من أعلى مراكز صنع القرار في واشنطن مطالبة بأن يكون موقفها وبثها الإعلامي خلال الحرب وطنيًا ومنسجمًا مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية، وفعلًا التزمت وسائل الإعلام هذه الأوامر بهذا فبرها، ولو راجعنا عدد الصحفيين الذين قتلوا هناك والذي فاق أي حرب أخرى وهو عدد غير مسبوق لرأينا أن هذا يدل على أمر هام هو حجم الكذب الذي كان يراد له أن يمر دون انكشاف حتى تظل أسطورة أكذب علي هي السائدة)⁽¹⁾.

(1) أكذب علي - كتاب مرسوم على الإنترنت ملخصاً عن موقع الجزيرة .

لقد كن هناك تعزيز لمسألة دور الإعلام الغربي في الحرب كآلة ضرورية لتطبيق الحرب النفسية، أي انه تخلى تماما عن دور المعلم الذي يكون همه للحاق بالمعلومة والخبر والبحث عن الحقيقة، لقد⁽¹⁾ المحاز الإعلام الأمريكي لبريطاني، المتلفظ بتياراته الرئيسة إلى منطق الحرب، ولم يسأل. لقائمين عليها كما هي أصل مهته المساءلة والتشكيك بل عوضا عن ذلك ضحى بأهنية والموضوعة وداس على كل المدارس الإعلامية التي كان رياديا في تكريسها في حقل لإعلام ومتمرس في خندق الحكومات.

لقد خرجت مصطلحات تربط بين الإعلام والاستعمار لهذا الرئيس الفنلندي يقول⁽²⁾ بأن الساحة الدولية تعاني من حالة يمكن أن نصفها بالاستعمار الاتصالي حيث أن ثلثي حجم الاتصال الذي يسود لعالم يبدأ أصلا من الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الإشارة تؤكد أن مصطلح الاستعمار الإعلامي قد بدأ يأخذ مداه الأوسع في أدبيات الإعلام الدولي.

إن الإعلام سلاح حربي وسياسي وثقافي واقتصادي واستعماري، وقد أدركت هذه الحقيقة بعض القوى منذ الحرب العالمية الثانية فبدأت (القوى

(1) م.

(2) لاتصل الدولي والعربي من 76

والسحب في الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على تكريس مصادره، هدالة للسيطرة على وسائل الإعلام بقصد التحكم في الرأي العام الأمريكي و لعالمي لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية، ومن أبرز هذه الجهات لشركات الكبرى المتعددة الجنسيات ومجلس العلاقات الخارجية في الكونغرس الأمريكي إضافة إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية⁽¹⁾.

بل إن بعض الباحثين في الإعلام يلعب إلى (أن القدرات العسكرية لكل بلد لم تعد تحسب بعدد الجيوش وكثرة العتاد، بل إن الشيء الذي يجب أن نضعه في الحسبان أن البث عبر الأقمار الصناعية الأكثر خطورة لأن أي دولة لا تستطيع أن تمنعه أو تحول بينه وبين مواطنيها وإن تمكنت فإن ذلك إلى حين)⁽²⁾

وهكذا نجد أن أمريكا ومن خلال البث المباشر تحاول السيطرة على العالم وتطبيق نظامها العالمي الجديد باعتباره جزءاً أساسياً من الاستراتيجية العسكرية والسياسية والاقتصادية لها، ولعل هذا قد عبر عنه الكونغرس في إحدى قراراته غير تعبير وحتى نلبي بدء ثورة تكنولوجيا الاتصال المعاصرة حيث جاء في قراراته (يمكننا أن نحقق بعض أهداف سياستنا الخارجية من خلال التعامل

(1) ن م ص 113

(2) إشكاليات لإعلام والاتصال في العالم الثالث ص 203

المباشر مع شعوب الدول الأجنبية بدلا من التعامل مع حكوماتها، من خلال استخدام أدوات وتقنيات الاتصالات الحديثة، يمكننا اليوم أن نقوم بإعلامهم والتأثير في اتجاهاتهم بل ويمكن في بعض الأحيان أن نجبرهم على سلوك طريق معين، وهذه المجموعات يمكنها بدورها أن تمارس ضغوطا ملحوظة وحتى حاسمة على حكوماتها⁽¹⁾.

إن أي سلاح إنما يعبر عن أنه قوة أو سلطة لكي يقوم بعمله في التأثير على الأحداث سواء في الحرب أو السلم، فكيف فهمت قوة الإعلام وكيف لهمت سلطته الكبيرة حتى اعتبرت سلطة رابعة من سلطات الدولة التي لها القدرة على التأثير والتنفيذ؟

(1) د م 201

الإعلام سلطة سياسية

الإعلام سلطة سياسية

لاشك أن الإعلام قوة كبيرة يلعب دوره في كل مجالات الحياة، السياسية والثقافية والاقتصادية، وإذا كنا قد شبهناه بالسلحاح الحربي فليس ذلك من باب الغلو في مدحه وإعطائه ما ليس له، ولولا أن يكون الإعلام ذا قوة وسيطرة وتحكم لما حرص على كسبه إلى جانبه واستخدامه وتوظيفه بكل قادة العالم سواء كانوا قادة شعوب أو جيوش ومنذ أقدم العصور

على أن الإعلام حينما يكون سلطة سياسية فهو إنما يعبر عن قوة تأثيره في هذا المجال حتى وصفت الصحافة وهي إحدى تعبيراته عن نفسه بأنها سلطة رابعة بعد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وحينما توصف الصحافة بأنها صاحبة الجلالة فإنما لتأثيرها الكبير في المجتمعات فأعطيت صفة من صفات الملوك والحاكمين.

يقول أحد الكتاب عن السلطة الرابعة ضمن السلطات الإعلامية وفي إطار تحليله لكلمة سلطة ومرجعيتها (منحت القداسة الكلمة سلطة، إذ ربطتها بقوة الغيب وكانت تنعكس في حللها متخذة أشكالاً متنوعة للسلطة والإبداع في الكتابة، الأمر الذي شغل المفسرين للأساطير التقليدية في مجالي الفلسفة والدين، وقد عانت الكتابة الصحفية ومثلها الكتابات الأدبية عبر التاريخ من

عتبار هذه الحلال مظاهر انحدارات لهذه السلطة أو تجليات لها.. ووصلت لصحافة معاركها فاختيرت سلطة رابعة في ترتيبها أو السلطة الرابعة، وراحت تستعيد قوتها وتحققها لتقلو صاحبة الجلالة، وإذا تراجعت أمام تقنيات لصورة فإنها مارالت في حكم الدولة أكثر من البيت الأبيض في لولايات المتحدة الأمريكية حيث يحكم الرئيس أربع سنوات بينما تحكم الصحافة إلى لأبد⁽¹⁾.

وإذا كانت صفة السلطة الرابعة التي أطلقها الكاتب السياسي البريطاني دمون بورك عام 1787 إنما كانت تعكس الطابع النضالي في ذلك الوقت بين الإنكيز والثورة الفرنسية ومعطياتها ضد بابلون الذي كان يخشى من النقد الصحفي بل ويساوي بين قدرات مقالة صحفية وقدرات 300 ألف جندي، إلا أن هذه السلطة ترسخت أكثر فأكثر في كل النضالات التي خاضتها لشعوب بعد ذلك ضد محتلها أو حكامها أو مستعمرها وضد كل اعتداء على حقوقها، فهذا الكاتب الفرنسي شاتوبريان يصف الصحافة المكتوبة بأنها الكهرباء الاجتماعية حيث جاء ذلك في رسالته إلى ملك فرنسا شارل العاشر يحضه فيها على الإقرار بسلطات الصحافة عام 1830 حيث يقول (كانت الصحافة عصرا

(1) إعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية ص 362

مجهولا في الماضي وسلطة فائقة أدخلت الآن في العالم، إنها الكلام في حلت
السريّة إنها الكهرباء الاجتماعية، فهل يمكنك تجاهل وجودها؟ كلما رعمت
أنت ملم بها وتشهّمها ازدادت حدة انفجارها وأضحت أكثر عنفاً عليك إذا أن
تمصّاح معها كما فعلت في الماضي مع آلات البخار، يجب عليك أن تمرس بها
مع اتقاء مخاطرها، وهكذا تنحصر هذه السلطة شيئاً فشيئاً فتسقط وتتلاشى في
الاستعمال اليومي فتدجنّها أو تعيد بناء هادتك وقوانينك وفق مبادئها التي
تحرك البشرية من الآن فصاعداً⁽¹⁾.

لا شك أن الكلمة الصحفية تستمد قوتها من القيمة الانفعالية التي تثيرها
حينما تعبر عن التحفيز والحض على فعل ما، وهي تؤثر في الجهاز العصبي
للإنسان بمفعول سحري طالما استخدمها به سحره البشر، إنها إبداع يفتح الوعي
وينير، ثم يغذيها بالانفعال الإيجابي أو السلبي، إنها كلمة إذا ارتبطت بالمقدسات
أصبحت دينا أو عقيدة ومرجعية إلهية لها قوة سيطرة [بحائية تتجاوز أي سيطرة
أو قوى أخرى، وإذا ارتبطت بالوطنية أصبحت مقياساً لكل القيم والتضحيات
المطلوبة دفاعاً عن أرض وشعب وحكومة، أما إذا ارتبطت هذه الكلمات برديد

(1) الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية ص 368.

إيقاعاتها المكرر فإنها تصبح تنوعاً مغناطيسياً يزرع إيماءاته في اللاوعي لفردى والجمعي ثم يتحول إلى سلوك ذي طابع جبري قاصر.

هكذا كانت الكلمة في الصحيفة تتحول من شعار إلى ممارسة وسلوك من قبل المجتمع فتقوده إلى مسارات معينة ومحددة بمضامينها.

وحيثما تحولت هذه الكلمة المكتوبة في الصحافة إلى صورة مرئية عبر الشاشات أخذت زخماً أقوى، فالصورة والوانها وحركاتها تستدعي استجابة إنفعالية شديدة أقوى من الكلمة المكتوبة، حيث أنها تستدعي إيماءات أكثر غنى وأعمق تأثيراً، وهكذا أخذ التلفزيون يكتسح الوعي الإنساني ويقولبه ضمن سياقات مرسومة لتضاعف قوة وسيطرة الإعلام بالشاشة عما كانت عليه في الصحيفة، حتى إذا وجدنا الانترنت ووسائل الاتصال الحديثة تضخمت هذه السيطرة بشكل غير مسبوق فأصبح الإعلام قلوة هائلة كسيطرة على الوعي والعقول سواء بمعلومات حقيقية أو مضللة، وينجر الوعي هنا إلى أن يخلق على نفسه فيدور في مدارات محدودة يقدمها له الانترنت في الصورة والصوت والكتابة.

من هنا أصبحت الصحافة الالكترونية كأداة من أدوات الانترنت تجمع بين السلطة الرابعة التي كانت لها حينما كانت صحافة ورقية، إضافة إلى معطيات

الانترنت الصورية الملوثة فتحول الإعلام عبره إلى غول يلتهم معطيات المعرفة ويعيد صياغتها بشكل مبرمج ويتلاعب بالعقول وبالوعي كما يشاء، وهو إنما يبني معطياته المعرفية في تأثيرها على السياق الذي قدمته ومبقتة الصحافة الورقية بكلماتها المقدسة المرتبطة بالمرجع الإلهي إن كانت ديناً أو عقيدة وبالوطن إن كانت وطنية المرجع والمآل.

من هنا دخلت معطيات العملة الإعلامية عبر الانترنت لتفتح مجالاً للإعلام كسيطرة وتحكم، وتوجيه وتأثيره حتى أصبحت سلطة سياسية لا تقاوم.

لقد تحدث الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون لمجلة فريين افيرز عام 1996 عن هذه السيطرة قائلاً (المعرفة هي أكثر من أي وقت مضى سلطة، فالدولة التي ستزعم ثورة الإعلام هي التي ستكون قوية بين الدول، على المدى المنظور هذه الدولة هي الولايات المتحدة، هذه السلطة اللامادية ستتمكن من التحكم في العلاقات الدولية بالجاذب لا بالقوة، وبالتالي فلا مجال لتحمل تكاليف عسكرية جديدة⁽¹⁾).

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص 24

ومن خلال هذه السيطرة السياسية للعولمة الإعلامية رأينا آل جور نائب الرئيس الأمريكي الأسبق ينادي بإقامة بنية أساسية معلوماتية عالمية ينعم بها سواء بسواء أغنياء العالم وقراءه ويدعو إلى تجاوز الأيدولوجيات في عصر العولمة هذا، إنه يقول (دعونا نتجاوز الأيدولوجيا لتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء أساسية معلوماتية لمصلحة جميع الدول من أجل خدمة اقتصادنا الحر وتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية)⁽¹⁾.

وقد سبق لمستشار الرئيس الأمريكي الأسبق بريجنسكي أن⁽²⁾ جعل من العولمة وسيلة لخلق تجانس سياسي وإقامة الديمقراطية وتجانس اجتماعي وحرية التنقل وتأمين حقوق الإنسان وتجانس في المعلومة لمن يريد، وهي تجانسات ستركز في بعض جوانبها على فن الإقناع نفسيا بالوسائل والأدوات المتاحة وبينها وبين استخدام القوة الردع النفسي - عند الضرورة بهدف فرض قناعات بديلة لعموم المجتمعات البشرية التي باتت قريبة من بعضها بحكم وسائل الاتصال عالية الجودة.

(1) د م

(2) العولمة وتجلبتها الثقافية والنفسية - الانترنت .

ولاشك أن هدف التجانس والتماثل والتعبط هو هدف كاس في
أيدولوجيا الاتصال أساسا وهو يعرض نفسه في كل وسائل الاتصال كمعطى
بديهي، إنها سيطرة سياسية للانترنت ووسائل الإعلام على وعي البشر وتوجيه
سلوكهم في حفظ وطرق محددة مسبقا.

هكذا نجد أن وظائف الإعلام التقليدية قد تحولت في عصر العولمة
والانترنت إلى وظائف جديدة تذهب بكل طاقاتها إلى تحقيق السيطرة السياسية
عبر الهيمنة الإعلامية وكما يقول أحد الباحثين عن وظائف الإعلام المعاصر
(إن التغير الذي طرأ على حجم عمليات الاتصال والدور المناط بها يتصل
مباشرة بعملية تدويل الإنتاج والبث والتصوير وكلها ذات علاقة باستخدام
المناط الجديدة لممارسة الهيمنة السياسية، ولهذا تبدو وظائف الإعلام ووسائله
مختلفة عما سبق وترتكز بصورة أساسية على تهيئة الأجواء والقناعات وبلورة
مشاعر مستهلكي المادة الإعلامية بأنهم ينتمون إلى بيئة سياسية دولية واحدة،
وهذا يفسر بالمقابل مبررات توجهات إعلام الدول أو اليثات المعرضة لمش هذه
الحملات في مقاومة التسلط والدفاع عن حقوق الإنسان المقهور اجتماعيا في
تربي ثقافته وسياسيا في ضمان حريته ووطنيا بضمان استقلاليته أي أن توسع

المحنة الإعلامية أحدث واقعا جديدا يستدعي بالضرورة اهتمام الدول و مجموعات الدولية⁽¹⁾.

إن محاولة وضع السيطرة السياسية للإعلام يقود إلى القول أن هذه الإعلام يمكن أن يمارس التضليل بقوة غاشمة بطبيعته التقليدية، أما إذا أضفنا له التقدم التكنولوجي الجديد فإنه يمكن أن يكون أداة استعباد غير مألوفة في خدمة السياسيين والحكام.

ولعل خير من حلل آليات الإعلام الأمريكي في التضليل الإعلامي هو هيرت شيلر في كتابه المتلاعبون بالعقول ومن ثم هيرت ماركوز في كتابه الإنسان ذو البعد الواحد، يقول شيلر في مقدمة كتابه المتلاعبون بالعقول (يقوم مديرو أجهزة الإعلام في أمريكا بوضع أسس عملية تداول الصور والمعلومات ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها، تلك الصور والمعلومات التي نحدد معتقداتنا ومواقفنا بل ونحدد سلوكنا في النهاية، وعندما يعتمد مديرو أجهزة الإعلام إلى طرح أفكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي فإنهم يتحولون إلى سائسي عقول)⁽²⁾

(1) عدم اجتماع الإعلام ص 116.

(2) المتلاعبون بالعقول ص 5.

وهكذا يصل شيلر إلى تأكيد الحقيقة المخيفة والتي تظهر آثارها اليوم أكثر من وقت كتابتها في السبعينات ألا وهي (أن تدفق المعلومات في مجتمع معقد هو مصدر سلطة لا نظير لها، وليس من الواقعية في شيء أن نتصور أن التحكم في هذه السلطة سوف يتم التخلي عنه عن طيب خاطر)⁽¹⁾

على أن شيلر وبعد بحث عميق وتحليل دقيق لآليات الإعلام الأمريكي وتأكيداته على أن معظم الأمريكيين محصورون أساساً وإن لم يعرفوا ذلك داخل نطاق مرسوم من الإعلام لا اختيار لهم فيه، وإن الأساطير تستخدم من أجل هدف محدد هو السيطرة على الشعب عندما يتم إدخالها على نحو غير محسوس في الوعي الشعبي من خلال أجهزة الإعلام فإن قوة تأثيرها تتضاعف من حيث أن الأفراد يظنون غير واعين بأنه قد تم تصليلهم حيث أن عملية السيطرة تصبح أكثر فعالية من خلال الشكل الخاص الذي يجري نقل الأسطورة من خلاله حيث أن تكتيك النقل يمكن أن يضيف بذاته بعداً جديداً إلى العملية التصليلية، ويؤكد شيلر (إن شكل الاتصال أو الإعلام على النحو الذي تطور به في

(1) ص 12

البلدان التي يسود فيها اقتصاد السوق وخاصة الولايات المتحدة هو تجسيد فعلي للتحكم في الوعي⁽¹⁾.

من كل ذلك يصل شيللر إلى خلاصة القول بأن (الحقيقة المركزية السابقة على أية حقيقة أخرى لها كانت الوجهة التي يتجه عليها صنّاع نقرر في أي موقف معين، هي أن السيطرة على الإعلام قد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من السياسة القومية، ولقد أصبحت أساليب تعليب التصورات، وأفكار أدوات يجري استخدامها للتأثير على الرأي العام من أجل كفالة التأييد الشعبي أو على الأقل اللامبالاة الشعبية لتصرفات الحكومة)⁽²⁾.

إن الإعلام قوة سيطرة سياسية يمكن استخدامها في أي ممارسة شعبية أو حكومية، بل إن الإعلام يشكل أفكار الساسة أنفسهم وأقوالهم وأحياناً تتداخل الحنادق بين الساسة والإعلاميين (وقد اقتربت مهنة رجال السياسة من مهنة الأداء لعملي حتى كادوا يصبحون مجرماً إعلاميين، وكاد الصحفيون بدورهم أن

(1) التلاعبون بالقول ص 33.

(2) د م ص 218.

يصبحوا نقادا دراميين هذا من وجهة نظر الحاكم أما المواطنون ومعظم ما يعرفونه عن شؤون السياسة يأتيهم من جانب الإعلام⁽¹⁾.

على أن هربرت ماركوز يشدد في نقله للمجتمع الذي تسود فيه وسائل الاتصال الجماهيري بأساليبها التفضيلية فيتحدث عن قولبة كاملة للمجتمع عبر خلق حاجات استهلاكية كاذبة وتلبيةها لدعم اقتصاد السوق، يتساءل ماركوز (هل الحاجات التي يلبىها المجتمع هي حاجات حقيقية أم كاذبة، حاجات إنسانية حقا وتلقائية أم حاجات مصطنعة اصطناعا ومفروضة فرضا؟ يجيب ماركوز بأنها حاجات وهمية من صنع الدعاية والإعلان ووسائل الاتصال الجماهيري، وإذا كان المجتمع يحرص على تلبية هذه الحاجات المصطنعة فليس ذلك لأنها شرط استمراره ونمو إنتاجه فحسب، بل أيضا لأنها خير وسيلة لخلق الإنسان ذي البعد الواحد القابل بالمجتمع ذي البعد الواحد والمتكيف معه، وما الإنسان ذو البعد الواحد إلا ذاك الذي استغنى عن الحرية بوهم الحرية وإذا كان هذا الإنسان يتوهم بأنه حر مجرد أنه يستطيع أن يختار بين تشكيلة كبيرة من البضائع

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص 387

والخدمات التي يكفلها له المجتمع لتلبية حاجاته فما أشبهه من هذه لزاوية بالعب
الذي يتوهم بأنه حر لمجرد أنه منحت له حرية اختيار سادته⁽¹⁾.

بل إن الإنسان ذو البعد الواحد تزيّف له حتى لعته التي تصبح أيضا ذات
بعد واحد مقفلة على نفسها منغلقة في ذاتها حيث يحتقد ماركوز أن تقليص
المجال الداخلي للفرد يمتد إلى عالم اللغة، عالم التعبير والاتصال الإنساني (فعلى
هذا المستوى أيضا تبرز إلى حيز الوجود لغة أحادية الجانب لغة إيجابية تستبعد
من تراكيبها ومفرداتها كل الأفكار والمفاهيم النقدية المتعالية، وهذه اللغة هي
بوجه خاص لغة محترفي السياسة وصناع الرأي العام الصحافة والإذاعة
والتلفزيون - لغة عارية من التوتر والتناقض والتطور والضرورة، لغة
عاملية، لغة سلوكية، لغة بلا تاريخ، بلا أبعاد وبكلمة واحدة لغة مقفلة منغلقة
على ذاتها)⁽²⁾.

أما آلية الفكر الأحادي الجانب في فرض سيطرته السيامية فيقول ماركوز
عنها (ويلقى الفكر الأحادي الجانب تحيينا وتشجيعا دائما من صنع السياسة
ومموليهم بالإعلام الجماهيري، فعالم هؤلاء الآخرين المنطقي مليء بفرضيات

(1) الإنسان ذو البعد الواحد ص 12.

(2) الإنسان ذو البعد الواحد ص 16.

تجد في ذاتها تبريرها وتغذو بفعل التكرار المتواصل المركز صيغا تنويمية فروضا معروضة، فالمؤسسات العاملة في العالم الحر على سبيل المثال هي الحرية أم ما عداها من أنماط الحرية المتعالية فهي الفوضى بعينها. ويضيف (إن العقلانية التكنولوجية تسفر النقيض عن طابعها السياسي في الوقت نفسه الذي تغدو فيه أعظم ناقص لأكمل سيطرة يخلقها عالما استبداديا بكل ما في الكلمة من معنى، عالما يكون فيه المجتمع والطبيعة، الروح والجسد، في حالة استنفار وتعبئة للسود عن ذلك العالم نفسه)⁽¹⁾.

وحينما نتساءل عن طبيعة هذه اللغة أحادية البعد في المجتمع أحادي البعد المسيطر عليه إعلاميا وكيف تكون هذه اللغة مزيفة وكيف تعبر عن مضامين تتحقق في مثل هذا المجتمع، نجد أن ماركوز يفضح زيفها بشكل لا يقبل الجدل حيث يقول (إن اللغة المغفلة لا تبرهن على شيء، ولا تفسر شيئا، وإنما هي تبلغ لقرار أو لحكم أو الأمر، وعندما تعرف لا يمدو التعريف أن يكون أكثر من تمييز بين الخير والشر، وهي تقرر الصواب والخطأ بصورة لا تقبل نقاشا، وتبرر قيمة ما بواسطة قيمة أخرى، إنها تسبح في التكرار واللغو، ولكن التكرار واللغو يمثلان أحكاما رهيبة الفعلية، إنهما يحكمان ويدينان بواسطة أحكام مسبقة

(1) ن م ص 54

والمضمون الموضوعي أي تعريف المصطلحات التي على شاكلة انحرافي وتحريفي هو على سبيل المثال مضمون قانون العقوبات ومثل هذا النوع من التبرير يخلق ضميرا يعتبر لغة السلطة السائدة لغة الحقيقة⁽¹⁾.

هكذا يصبح المجتمع أحادي البعد سورا مغلقا على أفراده أحاديي البعد بلغتهم الإعلامية أحادية البعد، ويكمل الاستعباد البشري للعقل بتحويله من عقل إبداع وتعالى، إلى عقل مبرمج يثرثر ويلغو بكلام لا معنى له خارج المجتمع الذي يصنعه، وتكون حتى اللغة مستعبدة مزيفة تخدم أغراض المجتمع وسياسته ومنهجه وحاجاته الكاذبة.

وإذا كانت لغة ماركوز وشيللر تنصب على مجتمع ما قبل الثورة المعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات الجديدة، فإن أضعاف ذلك يحدث اليوم بعد هذه الثورة وبعد انتشار الانترنت والفضاء المعلوماتي والاختراق الثقافي الذي يستخدمه.

هكذا نجد ما يشابه هذا التحليل لأدوات الاتصال المعاصرة حيث يقول أحد الكتاب عن الاختراق الثقافي في الفضاء المعلوماتي وإمكانياته المخيفة (إن

(1) د م ص 139

الاختراق الثقافي بوصفه آلية معلوماتية تمارس على المستخدم المقيم في المجتمع الرقمي بواسطة جهات مختلفة تهيمن على عمليات تكييف الوعي الفردي للمستخدم، وتسعى إلى توجيهه صوب غايات متعلّدة لضمان هيمنة آلة الاقتصاد العالمي ونهجه التسلطي، وبعد أن أصبحت مسألة إخضاع الأبدن المقيمة على الأرض الصلبة مرتعنة بإخضاع النفوس المقيمة في حدود البيئة الرقمية... ونتيجة للأهمية الكبيرة التي تحتلها أدوات التأويل ولتفسير لدى الجهة المخترقة، بدأ الاهتمام ينصب على عملية الإدراك بوصفها لباب الرئيسي الذي يضمن نجاح آليات التأثير على الوعي وتذليل العقبات أمام اختراق وتزييف أو إعادة تشكيله بنهج يخدم عملية الاختراق الثقافي، ولقد بوشرت عمليات تعديل الوعي بواسطة آليات التسطيح وجعله مرتبطاً بما يجري على سطح الفضاء المعلوماتي من تجليات صورية، ونصوص مقيمة في مواقع الويب بطريقة تثير الإدراك وتمتدّز الانفعال الذي يحجب العقل ويغيب الوعي في بوتقة المظهر الصوري البراق، وبإحكام السيطرة على الإدراك يصبح الطريق ممهداً أمام تعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والقيم وتوجيه مملكة الخيال، وتنميط الذوق، وقولبة السلوك بما يخدم آلة الاقتصاد العالمي لتق

تريد أن تلتهم جميع مفردات الفضاء الرقمي والتقليدي وتحولها إلى عنصر من عناصرها⁽¹⁾.

هكذا نجد (أن الوسائل السمعية والبصرية من إذاعة وتلفزيون وصحافة وصولاً إلى الإنترنت الذي يجمع كل وسائل الإعلام، تلعب الدور الأكبر في صياغة الوعي المباشر للمتلقي، كما إنها توحى برمز معينة لغوية وغير لغوية لصياغة الوعي غير المباشر للمتلقي حتى تحكم سلوكه وتبرجه)⁽²⁾.

وهكذا نرى أن حرية الإعلام والاتصال أصبحت (من أهم العلامات المميزة للثورة الديمقراطية التي يشهدها عالم اليوم، وأصبحت وسائل الاتصال واحدة من أقوى الوسائل لتشكيل المجتمع والتأثير في صناعة القرار وقد وفرت الإمكانيات التكنولوجية قدرات هائلة على صناعة الفكر وتوجيه الكلمة والتحكم في تدفق المعلومات وانسياب الآراء)⁽³⁾.

(1) الفضاء المعلوماتي ص 239-240

(2) برجة الوعي ص 51

(3) ن م ص ٦8

الإعلام أداة إرهابية

الإعلام أداة إرهابية

حينما نحاول أن نراجع صورة أمريكا - القطب الأول في العالم - وصاحبة الدعوة إلى المجتمع العالمي الجديد وصورة الإعلام الأمريكي صاحب دعوة المجتمع لإعلامي العالمي قبل أحداث 11 سبتمبر ودخولها في القرن الحادي والعشرين، نوجدنا أن أمريكا داعية الحرية والديمقراطية كانت تدعم بصورة مع شيء من المسامحة في الحكم جميلة في أذهان أكثر المجتمعات في العالم، ولم يكن لمسألة الإرهاب أي معطى ثقافي أو عسكري أو إعلامي يتجاوز بعض الاتهامات الصغيرة هنا وهناك، والدليل على ذلك تصريحات بيل كلينتون الرئيس الأمريكي الأسبق الذي قال عام 1996 بأن «المعرفة هي أكثر من أي وقت سلطة، فالدولة التي ستزعم ثورة الإعلام هي التي ستكون قوية بين الدول، على المدى المنظور هذه الدولة هي الولايات المتحدة، هذه السلطة اللامادية ستمكثنا من التحكم بالعلاقات الدولية بالجذب لا بالقوة وبالتالي فلا مجال لتحمل تكاليف عسكرية جديدة»⁽¹⁾.

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص 24

والدليل أيضا دعوة آل غور نائب الرئيس الأمريكي الأسبق إلى تجاوز
الأيديولوجية حيث قال (لنتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء أساسية معلوماتية
لمصلحة جميع الدول) والدليل الثالث قول بريجنسكي ودعوته إلى جعل العوامة
وسيلة لخلق توجهات لتجانس سياسي وإقامة الديمقراطية وحرية التنقل
وحقوق الإنسان والمعلومة لمن يريد لها وهي التجانس الذي يذهب ويقوم على
فن الإقناع نفسيا بالوسائل والأدوات المتاحة...

هذه الأدلة تعكس صورة أمريكا قبل أحداث 11 سبتمبر، إنها تزرع
نموذجا ديمقراطيا حرا وتوزعه عبر وسائل الإعلام لكسب البشر في كل دول
العالم إلى احتذاء واقتباس هذا النموذج دون الحاجة إلى فعل عسكري تدميري،
خاصة وأن أمريكا نفسها هي التي تقود ثورة المعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات
ومنتظمة، لالترنت وتتحكم فيها.

ولو حاولنا ومع شيء من المساعدة في الحكم أيضا تجاوز كل الآراء
لنفسية والانتقادية للإعلام والمجتمع الأمريكي كما طرحها شيلر وماركوز
وغيرهم، والتي حللت المجتمع الأمريكي عبر تحليل أليات إعلامه وتدجينه
للإنسان الأمريكي في خلق اختيارات وحاجات كاذبة عبر الإعلان وتلبستها له

على أساس أنها حاجات طبيعية ومن ثم خلق وعي الإنسان الأمريكي ببعد واحد ومجتمع يبعد واحد ولغة يبعد...الخ.

لر حاولنا كل ذلك ويكل طيبة قلب الإنسان العادي، وقاربها بما أصبحت عليه أمريكا وإعلامها بعد أحداث 11 سبتمبر وكشفها الوجه الآخر لسيظرتها العسكرية وردة فعلها الانفعالية في مواجهة اعتداءات قام بها بعض الأفراد ضدها، لوجدنا عجباً في عجب كان خير من خبر عنها، الكتاب المغربي يحيى البحياوي في كثير من مقالاته التي منستعرض بعضها هنا - ومنها النص التالي الذي يقول فيه (كيف إذن لدولة استباحة أقدس مبادئها مبدأ الحرية - وأفرغت مشروعها للقرن الحادي والعشرين، مشروع المجتمع الإعلامي العالمي من مضمونه الأصلي المبني على التعاون وتكافؤ الفرص وخلق سهل التواصل والحوار، وأحيت طقوس حروب إعلامية شرمة اعتقد الكثيرون أنها انتهت بانتهاء الحرب الباردة، كيف لهذه الدولة أن تقيم نظاماً إعلامياً وتؤمن على أن يكون أبقا لنظام عالمي جديد؟ كيف لها ذلك وهي التي تنكرت لمبادئها وأهداف كانت المدافع المستعيت عنها إلى نهاية القرن الماضي فحسب؟)⁽¹⁾.

(1) التكنولوجيا والإعلام والديمقراطية ص 56.

ما لدي غير أمريكا على النظام الإعلامي العالمي الذي يدعو إلى انفتاح إعلامي عالمي عبر ثورة الاتصالات والمعلوماتية والانترنت إلى أمريكا الحروب العسكرية في أفغانستان العراق وما سيأتي بعدها؟

كيف دخلت مفردة الإرهاب لتغير سياسة أمريكا من التغيير الإعلامي اللين إلى التدمير العسكري الصلد؟ هل إن معطيات الإعلام بعد أن أصبح غزوا يوجه العقول ويرمج الوعي عبر إمكانيات تكنولوجيا الاتصال وصفحات الانترنت، هل أصبح يتحكم في كل فرائز البشر وتوجهات مجتمعاتهم هل اكتشفت أمريكا كذبة هذه الدعوات صورة النموذج الأمريكي الديمقراطي الليبرالي... الخ بعد أحداث سبتمبر فكشفت عن الوجه الآخر صورة راعي البقر وصورة القدرة العسكرية الغاشمة وصورة القتل والتدمير لشعوب، والاحتلال لبلدان، وإعادة منطلق الحروب العسكرية ضد كل العالم تحت شعار من لم يكن معنا فهو ضلنا -؟

كيف انعكست صورة الإعلام الأمريكي من الحرية والحيادية والبحث عن الحقيقة كما كان في فيتنام إلى إعلام يشوه الحقائق ويخضع للتوجيه العسكري والسياسي ويتعاطى معه في كل طروحاته؟

ومن ثم كيف فقدت صورة الديمقراطية ككل في ممارساتها فتحوّلت إلى أنظمة للرقابة الداخلية والخارجية حتى على البريد الشخصي للمواطنين وذهبت الألوان البراقة التي كانت تعرضها صورة الديمقراطية تلك؟

لاشك أن الدعوة التي كانت تقودها أمريكا لإقامة نظام عالمي جديد يؤمن بحرية التدفقات الإعلامية ومركزية الانسياب الحر للمعلومات والمضامين، دون عوائق أو حدود هذه الدعوة لا يمكن أن يرسي قواعدها إلا بالنمهيذ لها باعتماد نظام إعلامي يرسي البنية التحتية الضرورية ويؤثث لها الهيكلية والشكل كما يقول بيجاوي - إلا أن حرب الخليج الثانية وأحداث 11 سبتمبر جرّها إلى أن تتوقف عن لدعوة إلى الانسياب الحر للمعلومات، وإلى عدم إعطاء الحق في الإعلام والمعرفة ولا البلوغ المتساوي لمصادر الخبر ولا غيرها، وهكذا وجدناها تعتمد لتعيم الذي كان ولا يزال على أشده وسبل بلوغ مصادر الخبر متعدّدة والحق في الإعلام والمعرفة مداساً بالأقدام وسياسات الضغط على وسائل الإعلام لتبني الحملة على الإرهاب شاملة ومنهجية⁽¹⁾

لقد تحوّلت أمريكا عن الدعوة إلى نظام الإعلام العالمي بعد أحداث 11 سبتمبر إلى ممارسات عبر عنها بيجاوي بشكل دقيق في قوله (فالقنوات

التلفزيونية الفضائية منها والأرضية لم تعرض من أخبار وتحليلات إلا ما أرادت الإدارة الأمريكية وأرضته، وبالتالي فارتهان حرية الممارسة الإعلامية من جانب المؤسسة العسكرية والتضييق على الحق في الإخبار الحر والمستقل أصبحت القاعدة والسمة المركزية في السلوك الرسمي الأمريكي لا الاستثناء، ناهيك عن الرقابة الذاتية التي لا تعدو في نهاية المطاف كونها امتسلا ما من طرف المؤسسة الإعلامية، والبريد إلكتروني، المواقع على شبكة الإنترنت كما المكالمات الهاتفية والمواقع المعوسطة إعلاميا أصبحت هدف مؤسسات الاستخبارات والتحقيقات والأمن العسكري تماما كما اخترقت حقوق الأفراد والجماعات في التعبير الحر عن الصحافة المكتوبة والتفكير المستقل داخل المنظمات والمؤسسات الإعلامية.

لمن إذن يازاء تنكر صارخ من جانب الإدارة الأمريكية ومن جانب غيرها في باقي الدول الغربية لمبادئ لم تتجرا تلك الإدارة ولا تلك الدول يوم على المساس بها أو الطعن في استقلاليتها⁽¹⁾.

لقد فقد الإعلام الأمريكي حريته التي طالما تباهى بها وبالديمقراطية التي تحتضنه، لقد أصبح أداة في يد الاستراتيجية الأمريكية عسكريا وسياسيا، لقد

(1) د م ص 55

كانت الحيادية صفة متأصلة في الإعلام لأنه سلطة رابعة ولكنه في أمريكا بعد أحداث 11 سبتمبر وحرب أفغانستان والعراق تمأهى مع المخطط العسكري دونما رد فعل أو أدنى احتجاج.

وكانت له صفة الموضوعية كإعلام إلا أن محاولة ربط الإرهاب بالمسممين واعتبارهما مصدر إرهاب وترهيب للأمم وشعوب العالم أمسقطه وأفقده هذه الصفة لأنه تهاجم وتحريم بلا دليل وحتى قبل بحث الاتهام.

أما مصداقيته فقد وضعت على المحك وكما يقول بيارى (فليس لما أصبح الإعلام يمارسه من تعميم على الأخبار وتقديم مادة المؤسسة العسكرية دونما تمحيص ولكن أيضا لإقصائه وتهميته كل ما من شأنه مناقشة تلك المادة أو الطعن في واطعيتها)

وهكذا سقط الإعلام الأمريكي من نموذجيته في حرب فيتنام في حرمة وموضوعيته وكرمه سلطة رابعة فعلا إلى أن أصبح (في المحصلة النهائية هيمنة شبه مطلقة في الحرب على الإرهاب من جانب المؤسسة العسكرية على وسائل الإعلام والاتصال، وهيمنة هذه الأخيرة على ما سواها من وسائل الإعلام)⁽¹⁾.

(1) ن م ص 67.

إن النتيجة التي يمكن استخلاصها من كل ذلك هو أن أمريكا بدلا من أن تقضي على الإرهاب بشعار اجثاث جذور الإرهاب التي أفرزتها تفجيرات 11 سبتمبر بقدر ما سيعملها إلى شرعة إرهاب الدولة الذي تحمل الولايات المتحدة بتسويق قدر مثله مع إسرائيل وباقي حلفائها على تأسيسه.

إن القضاء على الإرهاب واجثاث جذوره استدعى إرهاب إعلام الدولة الأمريكية، ترى هل أخذ الإعلام الأمريكي قيادة مصطلح حرب الحضارات عبر توظيف مفهوم الإرهاب الإسلامي حتى بدون أي دليل على ذلك بغرض حرب الإسلام إعلاميا؟

هل أن دعوة كبار الساسة الأمريكيين ومستشاروهم - العسكريون منهم والمدنيون - لتطبيق شعار من ليس معنا فهو بالضرورة ضدنا قد مارسه الإعلام وروج لمضامين الحروب الصليبية الحضارية الجديدة وكيف عبر عن ذلك في عماراته؟

إن دراسة دقيقة لمعطيات الإعلام الأمريكي بضوء التصريحات العسكرية والسياسية لهذا الشعار قد أدت فعلا إلى ذلك (فيقدر ما تسرع المستوى السياسي والعسكري في تحديد الجناة وأيدي عزمه على ملاحقتهم واستئصال جذورهم

لا مقاضاتهم، بقدر ما سار الإعلام على نفس المسار وسج على منواله وكيف
الرأي العام الداخلي منه بالأساس للاصطفاف وراء ذلك القرار⁽¹⁾

أما التفسيرات التي حاول تقديمها السياسيون لطابع الجناة من كونها تآمر
على الحضارة الغربية أو استهداف لنمط العيش الأمريكي وتحامل على قيم
الليبرالية والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، حيث لم يكتف الإعلام بنشر
مثل هذه الأقاويل وترويجها على نطاق واسع بل عمد بحكم منطق التكرار
اللامتناهي إلى جعله حقائق كبرى لا يأتىها الباطل من أمامها ولا من خلفها.

وهكذا، كما يقول بجاوي⁽²⁾ لم يعد الإعلام ناطقا رسميا باسم المؤسسة
السياسية والعسكرية فحسب، بل وأضحى كذلك جهازا معتمدا بشخص
ممارسات تلك المؤسسة ويعبر لها تصرفاتها، بل وقد يزايد عليها في أحيان عديدة
عندما يستعجل إنزال القصاص أو يستنكر الفرد في اتخاذ القرار -.

على أن ما سماه بجاوي تسويق الخوف - كان من أبرز ما اعتمدته الإدارة
الأمريكية منهجا وسلوكا ووظفت لتمريره منابر الصحافة والإعلام وهذا قاد
بشكل غير مباشر إلى جعل الإعلام الأمريكي إرهابيا (وبالتالي لم يعد الخوف

(1) ن م ص 76

(2) ن م ص 77

منذ الحادي عشر من سبتمبر لازمة إنسانية تطفو وتحفت، بل أصبح هو سنا نفسيا جماعيا لن يتسنى التخلص منه إلا بالتخلص من العناصر التي تشيعه ونعمره في نفوس بقوة التكرار وتتخذ منه مذهباً ومسلية⁽¹⁾

على أن ما قد يبرر ولو بشكل ضعيف اندفاع الإعلام الأمريكي وراء شعارات سياسية في الإرهاب وغيره هو أن الموجة التي واكبت رد الفعل الأمريكي على أحداث 11 سبتمبر طالت حتى المؤسسات القضائية والتشريعية (من هذ المنطلق لم يكن الإعلام وهو القوة المظلمة دائما إلى الاستقلالية المستهدف الوحيد ولا الضحية الأولى بل انساق في جريته قوى أخرى تشريعية وقضائية- لم يكن يوما يزايد على استقلاليته أو على مصداقيته وهكذا لم تعد القضية قطعا إشكالية بالنسبة لهذه الجهة أو تلك بقدر ما أضحت رهانا وجوديا لا مجال للمفارقة فيه) وهذا قاد إلى الاستئاج التالي على قول بجاوي (لا خيار للمنظومة الإعلامية في ذلك فهي بصحافتها المكتوبة والمسموعة والمرئية وشبكته لتبادل للمعلومات أي الانترنت مجبرة لا غيرة على الامتثال

(1) د م ص 78

لرهانات تتجاوزها وتتجاوز الفاعلين فيها المتطلعين إلى الاستقلالية بالأساس
ورلا فلا مناص من سقوطها في محضورات أخفها جنائي النتائج والتبعات⁽¹⁾

وهكذا أمكن وصف الإعلام الأمريكي بأنه أصبح مرهونا كإعلام إرهاب
خاصة بعد إقناع الأمريكيين أن هناك مؤامرة تستهدف الحياة الأمريكية
وحضارتها (لم يتصور الأمريكيون نتيجة ذلك حتى مجرد التصور أن هذا المسوغ
سيرهنهم لا محالة إلى ما لانهاية، سيرهنهم كدولة وقوة، وسيرهنهم كإعلام
إرهاب⁽²⁾).

هكذا يتحول الإعلام داعية الحرية ومظهرها في التعبير إلى مجرم بحق نفسه
وبحق لشعوب وكيف نفهم إعلام أمريكا هذا إرهابيا أو إرهابيا إعلاميا على
مستوى تغليب وهي مزيف يقوده الخوف والرعب من كائنات ليس لها وجود
حقيقي على أرض الواقع؟

كيف تحول أعظم جهاز إعلامي في العالم يضرب به المثل بعد حرب فيتنام
بجأديته وموضوعيته ومصداقيته حتى لو كانت ضد سياسة بلاده العسكرية
ولسياسية؟

(1) ن م ص 82

(2) 85

ثم كيف مارس وعادس هذا الإعلام أكافيه على الجمهور الأمريكي نفسه من خلال إقامة دعوة كاذبة على وجود أسلحة دمار شامل في العراق ليقوم بغزوه واحتلاله وتدميره، وحتى بعد أن اعترفت كل لجان التفتيش لأمرىكية والدولية خلو العراق من مثل هذه الأسلحة لم تعتذر حكومة الولايات المتحدة عن خطئها في شن الحرب وبقيت تغير ادعاءاتها وتخلق المبررات الكاذبة فطرححت مسألة نشر الديمقراطية هدفا للحرب، وهامي ديمقراطيتها في العراق تسبح في بحار الدم العراقي بحرب طوائف وأقليات لتصل إلى شعار القوضى الخلاقة الكاذبة مرة أخرى كمبرر لتحولات المجتمعات قسرا وحربا ودما؟

الحكومة الأمريكية دمرت مصداقية الإعلام الأمريكي والإعلام الأمريكي بانسياقه وراء تنفيذ توجيهات عسكرية غبية خسر كل الاحترام الذي كان له في العالم على كل الأصعدة، لقد وقف بروج الجريمة من أبشع جرائم لتاريخ لوقوفه مساندا للحكومة وفيادة دامت على كل قيم الحرية والديمقراطية التي كانت شعاراتها منذ نشوئها الأول؟

لقد خسرت أمريكا هويتها وتاريخها في حروبها الجديدة وخسر معها إعلامها الذي كان من أولى مهماته كإعلام أن يفرض نفسه خارج سياقاتها بعد أن

تين أن دعواتها وشعاراتها وتبريراتها لهذه الحروب كاذبة ومزيفة بل ونعير منها عند انكشاف كذبة دعاواها من هدف لآخر؟

لقد صدق وصف مجاوي لهذا الإعلام بأنه أصبح أداة جرمية لأنه تبنى أيديولوجية تعمل على ذلك حيث يقول (المدعاة للدهشة حقاً والخسرة والتأسي كذلك أن يتحول الإعلام من جراء هذه الأيديولوجية من وسيلة لتنهضتها والتنبذ بها والتشهير بخلفياتها إلى أداة تنكيء عليها تلك الأيديولوجية وتعتمدها في ترويج ما يؤسس لها أو يورر مضامينها، وبالتالي فالإعلام في عصر أسياذ العالم الجدد لم يعد سلطة مضادة كما أو شك أن يكون ذات يوم بل أضفى عكس هذا الإجهاد أو ذاك، أداة توكيء وعدوان بل أداة الجرمية يبررها ويشرحن لمقترفيها ارتكاباتهم، ويكون شاهد زور عندما تقترف ولا تفضح لمصوما بالكلمة والصوت والصورة، فالإعلام هو أداة الجريمة التي ثمت في العراق... فالعدوان على العراق مثلاً لم يثبت فقط مدى ارتهاا الإعلام للمؤسسة السياسية- العسكرية بل وأيضا مدى تفضيلها عليه- في بعض ما يعطيه قصب السبق أو يضمن له شيء من الإشهار⁽¹⁾.

(1) د م ص 90-91.

هل يحق لنا بعد كل هذا أن نقول أن الإعلام الأمريكي أصبح إعلام إرهاب حقا؟، فليس القتل والعنف الإرهابي الحقيقي إلا صورة مجسمة في ممارسة أمريكا أولا وإسلامها ثانيا، وكلاهما مشتركان في صف الإرهاب رغم كل أكاذيب دعواتهم باجشاث الإرهاب أو محاربتهم ورغم أكاذيبهم في ربط الإرهاب بالإسلام كتزييف آخر للوعي الجمعي وللرأي العام للداخل الأمريكي وخارجه،

تكيف تحول الإعلام صورة الحرية والسلطة الرابعة والمتقصد ولرقيب على مؤسسات الدولة إلى إعلام إرهابي من الدرجة الأولى ولازال يمارس أكاذيبه عبر مؤسسات وإمبراطوريات ثورة تكنولوجيا المعلومات والعولمة الكاذبة؟

لقد وقف الإعلام الأمريكي ضد نفسه كإعلام، وبدلا من أن يلف عند حدود الكشف عن أكاذيب دعاوى القادة العسكريين والسياسيين بل وبدلا من أن يكون مساوقا حتى ولو على خطأ باسم الوطنية الزائفة - للقرارات والسياسات والقتل والتدمير العسكري إذا به يتحول في ممارسته إلى حرب على نفسه، حرب الإعلام على الإعلام فيفقد هيئته وسلطته الرابعة ويترجع إلى خيانة مهنية في البحث عن الحقيقة وللوضوعية والمصداقية ليصبح سلاحا إرهابيا من الدرجة الأولى؟.

إننا يمكن أن نصف الإعلام الأمريكي بأنه انتحر أمام سرقات لدبابات وازيز الطائرات وقذائف المدفعية وصواريخ الانتقام، وهذا ما جعل يجاري كشاهد على ذلك يكتب تحت عنوان "عندما ترتد الآلة الأمريكية الإعلامية على أصحابها - يقول فيها (لم تعد المؤسسة الإعلامية الغربية الأمريكية أساساً كما، لبريطانية كما العديد غيرها) مطالبة في ظل - حالة الحرب هاته ينقل مجريات الأحداث كما تتراعى لها بأرض المعركة، ولا وفق ما تقدمها الجيوش، بل خدعت تحت هذا المسوغ أو ذاك تحمل على تطويعها وعادة إخراجها بما يتساقق والخطوة العسكرية أو نزولا عند رغبات الرأي العام أو جبراً لنفسية العائلات المكشوفة التي تم الزج بابائها في جبهة من العالم لربما لن يستطيع المواطن الأمريكي أو البريطاني تبيين موضعها على الخريطة)

أما كيفية هذا التطويع فكان الكذب المباشر في كثير من الأخبار والمعلومات، فهذا خبر عن مقتل الرئيس العراقي وأبنائه ومساعديه يروج له في اليوم الأول من الحرب، وإذا به يكذب بالصورة والصوت بنفس اليوم، ثم خبر آخر عن استسلام فيلق اللواء هاشم بأم قصر في اليوم التالي وإذا به يكذبه اللواء ذاته من داخل أم قصر محاطاً بجند وكثيرة مثل هذه الأخبار الكاذبة وغير المعتمدة على أي مصدر مسؤول بل ولم تناقش معطياته مع أحد بل أحد الترويج

له بمجرد وصوله أو اختراعه، ومثل هذه الأخبار ليست عجيبة في الحرب، إذا كانت صادرة من ناطق عسكري أو رئيس كتيبة أو قائد مجموعة، إنما الداعي للعجب هو أن تقوم المؤسسة الإعلامية بالتصريح والتداول والترويج بنفس الوقت دونما أي تحقيق أو تحقق، ليغدو بأعين الملايين وأذانها حقيقة واقعة دامغة لا مجال للمزايدة فيها، وهو أمر ليس يدعو للغرابة فحسب بل ويدفع لمساءلة المؤسسة إياها والتساؤل في مصداقية القائمين عليها.

إنها حرب إعلامية وظفت لها القيادة الأمريكية والبريطانية شتى الوسائل التكنولوجية للتعتيم والتضليل، وهي حرب إعلامية فضلا عن كل هذا وذلك، لأن العدوان على العراق إنما يصور للجماهير بالغرب وكأنها حرب نقية، تستهدف أركان النظام ورسائله العسكرية، وكل هذا كذب وبهتان ليهي بعد أن تكشف كانت حرب حقائقها ودوافعها وحتى مواقع قصف أسلحتها غير ذلك، والآلة الإعلامية الغربية عمومًا الأمريكية والبريطانية على وجه التحديد لم تستسلم فقط لما يصدر عن المؤسسة العسكرية من كذب ومغالطات بل تبنت كل ذلك لتجعل منه حقائق قائمة صرعا ن ما تسعى للمشاهدين تمييز لزور بداخلها.

وهكذا يتحدث الكاتب يجاوي قاضط هذه الآلة العسكرية بقوله إنها لم تكف بالتالي بقبول ارتهاها المؤسسة المؤسسة العسكرية للحرب النقية في خطابها مكانة متميزة، بل قبلت عن طواعية أن تندغم بصليبها وتعمل من الكذب وتحريف الحقائق مكونا من مكونات مصداقيتها ومصداقية مراسليها بأرض المعركة.

إن الولايات المتحدة في حربها الإعلامية على العراق قد عسكرة الإعلام بطريقة لم يشهدها التاريخ من قبل، وعسكرة المؤسسة الإعلامية إنما تثبت كما يقول يجاوي من خلال مؤشرات لم تكن معهودة من ذي قبل لا في زمن الحرب ولا في وقت السلم. فعدد الصحفيين المعتمدين من المؤسسة العسكرية لتغطية العدوان ثلاثة آلاف صحفي مصاحب للتحالف الانجلوامريكي بأرض العراق وخمسمائة متواجدون في الكويت بهذه القاعدة أو تلك ن بهذه لحظة أو تلك، هذا الحجم من الصحفيين هو جيش في حد ذاته لا بالقياس إلى العدد بل وأيضاً اعتباراً إلى ما يتوفر لديه من سبل وامكانيات تضليل الرأي العام وفي الكذب عليه تسجيلاً للأحداث أو بالمباشر الحي، وعلى هذا فالصحفي المصاحب لهذه الدبابة أو تلك، هذه الطائرة أو تلك، لا يصور الأحداث كما قد تحدث أدم حينه أو على مقربة منه، بل يقرأها بعين قائد الدبابة أو عين الريان، الذي هو رئيسه

المباشر وإلى حد ما المستول عنه، ولا يقتصر العدد على التعداد بقدر ما هي بالأداء ويتعداه حتما إلى مجال مصدر المعلومات وبتية ترويجها وإشاعتها . وليس مثار استغراب إذن إذا أقام الصحفيون بشككات محاذية للقوات العسكرية أو قبلوا بهم زملاء لهم في السكن كما بأرض المعركة... هي إذن وبكل المقاييس تثقية للمعلومات لدرجة تصفية مضمونها وتطويعها بما يتلاءم وخطط المؤسسة العسكرية بأرض المعركة.

هكذا يتنحى الإعلام حيث أن (تتمرس المؤسسة الإعلامية وراء المؤسسة العسكرية لدرجة عسكريتها لن تقع الإشارة بالضرورة بموجه على الثانية بقدر ما سيثار في شأنها بأصبع الاتهام إلى الأولى، فهي التي تحت مسوغات ودهية انصاعت لقرارات الثانية وجعلت من عناصرها مكونا منها لا مكونا قديما بذاته دونه ودرن الاستقلالية الاحتجاج والتشهير وهو ما لم نشهد له أثر منذ انطلاق العدوان على العراق) _.

هنا يرى عيساوي (أن اللافت للانتباه حقا سيما منذ شن العدوان لأجله أمريكي على العراق أن الإعلام بكل مكوناته - غدا بكل المقاييس أبرز الضحايا وبالتأكيد أكبرها -، إنها حرب إعلامية حورت بمقتضاها الوقائع وحرقت المعلومات وزورت المحاضر الإعلامية مضللة بذلك وعن قصد مبيت

انتقل صحفييها لتغطية ما جرى من مجازر بضمواحي بغداد كما ببعض أحيائها، فإنه لن يستطيع تحت أي مبرر من المبررات استساغة القصف الذي تعرض له مركز الصحفيين بفندق فلسطين بقلب بغداد وذهب ضحيته صحفيون من الجزيرة ومن التلفزيون الأسباني كما من وكالة رويتر.

- وهي حرب على الإعلام بكل المقاييس كونها لا تتخذ من الإعلامي شاهدا حيا على وقائع العدوان بقدر ما تتخذه رهينة يبت ما سلمته الآلة العسكرية / السياسية تحت تهديد قوة المدفع أو تحت ضغط قائده بعين المكان. وبناء على كل ما ورد كما يقول يجاوي- فإننا نعتقد انه لا يمكن للمرء بالعين المجردة أساسا غلا أن يلاحظ العدوان على العراق عندما هو عدوان إعلامي بامتياز وعدوان على الإعلام في الآن ذاته.

وإذا كان الأمر كذلك فإنه بتحصيل حاصل عنوان كبير بوجود جرائم حرب إعلامية وبالتالي فإذا تم التسليم بالوجود إياه فمن الواجب إقامة محاكم لذلك بفرض مقاضاة الجناة، وإذا تم التسليم والاعتراف بكل هذا أو ذاك فمن المفروض أن يقدم لذات المحكمة بفرض المساطة والمقاضاة سياسيو التحالف ضد العراق كما عسكريوه.

بل إن الحرب الإعلامية على العراق لم تكن لتقف عند حدود الممارسات المذكورة في الحرب، بل إن هذه الحرب تماشى وتساوقت مع مصطلح الحرب الوقائية ذاتها، وليس من المبالغة في شيء القول بأن ما دفعت به الشبكات التلافيزية قبيل العدوان على العراق كما خلاله إنما هو حرب وقائية إعلامية تكفلت ذات الشبكات بتنفيذها مد اصطلقت بها وراء خطاب المؤسسة العسكرية لتبنيها معاً نفس المسلك ويدفع بنفس المنظومة السيميائية، واصطفاً ذات المؤسسة وراء المستوى السياسي / العسكري حول شعار الحرب الوقائية إنما هو محصلة اصطفاً حول الهدف وحول التصور وحول الأداة، وهو ما تراءى جلياً طيلة أيام العدوان على العراق حيث لم تنقل لنا وسائل الإعلام، لاجلها أمريكية إلا الضربات الوقائية الموجهة بدقة متناهية وهدوئاً مس بالمدنيين في حين تغافلت عن ذات الضربات والضربات الأخرى وكلها الكوارث التي خلفتها في البشر وال عمران والآثار.

وهكذا فلم تعد المؤسسة الإعلامية مصدر سلطة من شأنها العمل على لجم سلطة السلاح والحرب أياً ما تكون المسوغات تلك، بل أصبحت مكوناً من مكوناتها وعنصراً من عناصرها وأداة القرار التي على خلفيتها يتم كل هذا وذلك

وهكذا دفعت المؤسسة الإعلامية بمبدأ السلطة الرابعة حيث بقيت مرتبطة
للندي برفضه ذات التطلع بل وناطقة باسمه دونما تحفظ كبير
الا يحق لنا القول أن الإعلام الأمريكي أصبح إعلاما إرهابيا تقوده الدولة
ذاتها؟

الإعلام الأمريكي

إرهاب الداخل والخارج

الإعلام الأمريكي إرهاب الداخل والخارج

في كتابه ما بعد الإمبراطورية الكاتب الفرنسي أمانويل طود يقول في افتتاحية الكتاب (إن الولايات المتحدة في طريقها لأن تصبح مشكلة بالنسبة للعالم، بينما اعتدنا أن نرى فيها حلاً وضامنة للحرية السياسية والنظام الاقتصادي خلال نصف قرن، فهي تظهر اليوم أكثر فأكثر عامل فوضى دولية)⁽¹⁾.

وينتهي كتابه بقوله (لترك أمريكا تنهك ما تبقى من طاقاتها في مكافحة الإرهاب كبديل للكفاح من أجل الحفاظ على هيمنة لم تعد موجودة، إن استمرت أمريكا في تعنتها لإظهار قوتها الخارقة للعالم، فإنها تظهر في نهاية الأمر هزها للعالم)⁽²⁾.

وبين هذين النصين تظهر أمريكا والسلوك الأمريكي (إنها لا تعالي فرط القوة وإنما الخماضا في قوتها وإن القوة الأمريكية في تراجع وإن مراكز القوة في

(1) ما بعد الإمبراطورية ص 25.

(2) د م ص 223.

العالم متعدد، وأن التكتلات الإقليمية الكبرى ستفقد جدوى وجود مركز أمريكي عالمي،

وفي التفاصيل يؤكد المؤلف على أنه (يجب القبول بأن الهيمنة الأمريكية بين 1950-1990 كانت مفيدة، إلا أن القوة الاقتصادية الأمريكية بدأت تنهقر في سبعينات مع ظهور عجز بنسوي في الاقتصاد الأمريكي، وهكذا تحولت أمريكا من الجدوى إلى عدم الجدوى بالنسبة للعالم)، ويعد أن يشير إلى تضخم العجز التجاري الأمريكي بمئات الملايين وهذا قبل حرب احتلال العراق وأفغانستان- يؤكد على أنه (في بداية الألفية الثالثة لم تعد أمريكا قادرة على العيش من إنتاجها لوحده) وبعد إبراده الكثير من الأرقام التي تعكس هذه الحقيقة يستتبع (أن أمريكا هي قيد التحول إلى قضاء متخصص في الاستهلاك وتابع للعالم الخارجي فهي ليست مهمة للعالم من حيث إنتاجها وإنما من حيث استهلاكها).

أما عسكريا فيرى أن أفول القوة الأمريكية لا رجعة فيه، وأن إشكالية أمريكا العسكرية هي أنها لم تواجه أبدا خصما في مستواها العسكري كما أنها لم تربح حربا بمعنى الكلمة وأنه من خلال نشاطها العسكري الموجه ضد الدول الضعيفة تسعى أمريكا لحجب الحصار قوتها فهي تستخدم مكافحة الإرهاب

ومحور النشر كمبررات.. فهي بعد تضخيم الإمكانيات العراقية وبعد تحرير الكويت تعمل على الانخراط في أكبر عدد من الصراعات مع قوى عسكرية مثيرة للسخرية الدول المارقة ، أما الميكرو-عسكريات المبرجة الأمريكية فتهدف لإظهار ضرورة أمريكا للعالم بحسب خصوم لا شأن لهم) . وهكذا يستتبع أن (عدم جدولى أمريكا للعالم يعتبر أحد الهاجسين لأمريكا وأحد المقائيع لفهم السياسات الخارجية الأمريكية).

هذه صورة لأمريكا قبل التدخل في أفغانستان والعراق فكيف صورتها اليوم بعد انهيار الدولار وزيادة العجز التجاري إلى رقم لم يبلغ في تاريخها، كذلك خسائرها البشرية وانهيار قيمها الأخلاقية وتآزمات ديمقراطيتها ثم دور الإعلام التفضيلي في كل ممارساتها؟ كيف هي صورة أمريكا اليوم؟

في كتاب آخر للمؤرخ البريطاني وأستاذ التاريخ العالمي في كلية ستيرن بجامعة نيويورك بعنوان ارتقاء وسقوط الإمبراطورية الأمريكية-والذي صدر عام 2004 يفضح المؤلف الدهوات اللزقة لقادة أمريكا اليوم من أنها ليست إمبراطورية وإنما ديمقراطية، وكيف صنعت الذهنية الأمريكية الجماعية على ذلك، وكيف زيفت اليوم من خلال الممارسات الواقعية على الأرض يقول المؤلف (الولايات المتحدة ليست قوة إمبريالية ولا هي قوة استعمارية رغم

امتلاكها قدرات هائلة تمكنها من أن تكون كذلك، وهي لم تمارس الاحتلال ولا استعمار كما مارسته القوى الإمبراطورية المشابهة السابقة مثل بريطانيا العظمى وفرنسا والبرتغال وأسبانيا... هذا الاعتقاد هو ما نرسمخ في الذهنية الأمريكية الجماعية عبر عقود طويلة من السنين، وبناء عليه فإن كل لتدخلات الأمريكية العسكرية الخارجية والاحتلالات والاحتلال سواء في أمريكا اللاتينية أم الهند الصينية أو في فضاء المحيط الهادئ لم يكن هدفها سوى نشر الحرية أو وقف تقدم الشيوعية أو دعم الديمقراطية⁽¹⁾.

هذه الادعاءات يكشفها فريغسون ليصل إلى نتيجة مفادها أن الولايات المتحدة لم تكن ومنذ نشأتها سوى إمبراطورية إمبريالية بالمعنى الحرفي للكلمة. لقد كان بوش الابن يزعم أن أمريكا لم تكن مطلقاً إمبراطورية، ويقول وزير دفاعه دونالد رامسفيلد (إننا لم نكن أبداً دولة استعمارية إننا لا نخرج بجنودنا إلى أنحاء العالم في محاولة للاستحواذ على ما لشعوب أخرى من موارد وأراضي ونفط، إن هذا بالضبط هو ما تحجم الولايات المتحدة عن فعله، وهو ما لم تفعله ولن تفعله، فهذه ليست الطريقة التي تتصرف بها الديمقراطيات، إنها

(1) ارتفاع وسقوط الإمبراطورية الأمريكية - الانترنت - موقع الجزيرة.

الطريقة التي تصرفت بها دول تسعى لبناء الإمبراطورية كالاتحاد السوفيتي، لكنها ليست الطريقة التي تصرف بها الولايات المتحدة.

أما وزير الخارجية كولن باول فيؤكد قائلا (إن الولايات المتحدة لا تسعى إلى إقامة إمبراطورية على الأرض فتحسن لم تكن أبدا إمبرياليين لكننا نسعى إلى إقامة عالم تصبح فيه الحرية والرخاء والسلام ملكا لكل الشعوب وليس مجرد امتياز خاص للأقلية)⁽¹⁾.

على أن هذه الصورة الجميلة الجذابة لم تكن لتستمر طويلا حتى كشفت أمريكا بنفس قاداتها هؤلاء عن حب الحرب والغزو والاحتلال والنفط والإمبراطورية، وحدث عكس جميع هذه الأقوال والادعاء كما يقول الكاتب الذي يصف العراق بأنه كان صندوق باندورا العجيب- بعد أن غزاها المحافظون الجدد بمسوغات عدة ثبت أنها كانت فارغة ولا أساس لها وبداية رسم الصورة الجديدة المناقضة لأمريكا كانت بعد أحداث 11 أيلول.

سوفي المقام الأول كانت نظرية تغيير النظام بدعوى أنه دكتاتوري ومستبد ثم تم استبعاد هذه النظرية لأنها مستجلب على واشنطن أسئلة كثيرة بشأن أنظمة

ديكتاتورية ومستبدة عديدة تحظى بدعم الولايات المتحدة، ناهيك عن أن تشن ضدها الحروب، ثم جاءت فكرة امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وتهديده باستعمالها ورافقتها فكرة علاقة العراق بالقاعدة وإرهابها وتفجيرات 11 سبتمبر، لكن كل هذه المبررات لم تصمد، ومع ذلك تم احتلال العراق وأعلن جورج بوش أن الأمن والأمان والديمقراطية سوف تمل في العراق بعد التخلص من صدام حسين،

غير أن الخلاصة الحالية التي وصلت إليها واشنطن هي بالتأكيد خلاف ما هدفت إليه، فالقاعدة وجدت لها الآن أرضاً خصبة تتحرك فيها وتقاتل الولايات المتحدة مباشرة، والحل الديمقراطي الموعود في العراق لا يبدو أنه سينجح و لدول الشريكة في الحرب تنسحب الواحدة تلو الأخرى).

ويبدو أن صورة أمريكا قد تغيرت عما كانت عليه وعما ادعى قادتها الجدد من أنها ليست إمبراطورية، حيث تكاثرت الكتب التي ترفع عنوان الإمبراطورية على واجهاتها لأمريكا وهكذا وجدنا محمد حسنين هيكل يصدر كتاباً باسم الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق حيث يضع قانون الإمبراطوريات عبر التاريخ ليقس عليه الإمبراطورية الأمريكية فيقول بأن (واحد من أهم دروس التاريخ أن الإمبراطوريات العاتية تكابر حتى تصل إلى

الذرى العالية ثم تكشف عند الوصول هناك أن البقاء فادح التكليف، وعندها تظهر حتمية النزول، لكن الإمبراطوريات تعاند وساعتها يبلغ العنف مداه، وذلك ما حدث لكل الإمبراطوريات سابقا من الإمبراطورية الرومانية في العالم القديم إلى الإمبراطوريتين الكبيرتين في التاريخ الإسلامي الأموية والعباسية - في العصر الوسيط إلى الإمبراطوريات الأوربية في العصرين القريب والحديث، فتلك الإمبراطوريات جميعا بلغت الذرى زمن الصعود وكلها بعد ذلك وبسبب أعباء وتكاليف الإمبراطوريات اضطرت إلى النزول على السفوح وكلها في حالة لصعود استعانت بالقوة وكلها في اتقاء النزول قاومت بحف و ذلك ما يحدث للإمبراطورية الأمريكية⁽¹⁾.

ويعد أن يذكر هكل تميز وخصائص الإمبراطورية الأمريكية من استخدامها أسلوب جديد في السيطرة يقوم على نظام شديد الجراءة والجسارة إلى درجة الانتحام والاختراق لخصوصيات الدول والشعوب والقدرة على حطف وهي الآخرين وإرتهاته أسير إعلام مصور وملون مكتوب وناطق يعطي لنفسه احتكار وضع جدول اهتمامات الرأي العام العالمي وسحب الآخرين وراءه وجرحهم مهرولين، ولكنه يتحدث عن المشروع الإمبراطوري الأمريكي من

(1) الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق - اتفقت سوقع الجزيرة

الحرب على الإرهاب إلى الحرب على العراق وكيف انتقلت ثورة الحوادث في ما جرى في 11 سبتمبر من نيويورك إلى كابل ثم من كابل إلى بغداد .. يقول بأن الإدارة الأمريكية وجدت بعد تدمير برج مركز التجارة مباشرة أنها بحاجة إلى ضرب العراق لأن الشعب الأمريكي برأي الرئيس بوش كان بحاجة إلى عمل كبير وليس معركة واحدة ولكن حرب ممتدة يشعر بها الشعب الأمريكي أن الإدارة الأمريكية تدافع عنه حتى أقاصي الأرض واتخذ قرار الحرب على العراق وبعد الأحداث بأيام قليلة.

إذن قرار الحرب على العراق كان ضرورة أمريكية شعبية برأي بوش، وليس للعراق أي ذنب فيها بل مجموعة (أحوال إنسانية وصراعات سياسية ومطالب إمبراطورية وضرورات بترونية ولوازم استغائية، وكله يتداخل ويتخلط في وحاء طبع القرار الأمريكي وذلك طبق بحسب الحاجة إلى محسنات للطعم والمسدات جمال على الشكل ترضي الذوق وتفتح الشهية وعندما تمهي لحظة إضافة المغريات من نوع أسلحة الدمار وإبعاد الدكتاتور وضمان حقوق الإنسان ومستقبل الديمقراطية).

على أن الإعلام الأمريكي والتلفزيون والأقمار الصناعية بشكل خاص لعب دور كبيراً في التحضير والإعداد والتغطية مما أضعف العمل السياسي من

جهة وفقد الإعلام مصداقيته في البحث عن الحقيقة من جهة أخرى، حيث يرى هيكل أن الوسيلة الأساسية في العمل والتطويع والمواجهة صارت هي الأتمار الصدمية ومحطات التلفزة وشبكة الانترنت والتلفونات المحمولة وأجهزة الكمبيوتر، وحدث أن التلفزيون كما يقول هيكل في هذه الأزمنة صانع لنفسه عصرًا بأكمله، وكان هذا العصر التلفزيوني الحاضر في كل بيت وكل ملتقى هو الأداة التي اغتالت العمل السياسي بأساليبه المعروفة منذ بدأت العهود الديمقراطية بعد الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية أوائل القرن التاسع عشر.

ويؤكد هيكل على أن الكثيرين راحوا يدرسون مجد هل أصبح التلفزيون صانع السياسة، وبأي تكاليف على الوعي وعلى فرصة الاختيار وعلى الحقيقة، رسقطت السياسة ضحية التلفزيون فيغلبة الصورة على الفكرة وأسبقة الانطباع على الحقيقة والإقناع نقل التلفزيون السياسة إلى عالم مسرح وفيه المرقع والمنظر والضوء والحوار المرسوم والمخرج الموجه وكذلك يتحول السياسي إلى ممثل مشغول بالأداء في حد ذاته أولاً وأخيراً

وهذا يعني في نظر هيكل أن الرسالة السياسية مصنوعة على مواصفات يهمها أكبر قدر من التأثير وليس أكبر قدر من الحقيقة، ومع توصل الأيام حدثت عملية تضخم سياسي يشابه التضخم النقدي، إذ أن تواضع التأثير

يحكم التعود يوما بعد يوم جرى إلى تعويض نفسه بالزيادة في العرض ونتيجة لذلك فإن السياسة ومعها العملية الانتخابية على جميع المستويات الرئاسية أو السياسية أو التنفيذية حتى انتخابات الكونغرس والمجتمع المدني والقطاعات المهنية و لعمامة والأندية الرياضية تحولت إلى عمليات مكلفة تحتاج إلى تمويل كثيف يكفي لشراء وقت كاف لوضع الرسالة السياسية على الشاشة الأوسع انتشارا، وبالتالي الأعلى، ويقدر على توفير الخبراء الأقدر بين المنتجين والمخرجين وخبراء الضوء والصوت إلى جانب الإنفاق على جيش من مؤلفي القصص إلى كتاب السيناريوهات إلى المديرين إلى المخرجين إلى مهندسي المناظر وخبراء التجميل.. وهذه الأحوال جعلت العملية السياسية ملهولة باستمرار على المزيد من المال، وذلك يدفعها برضاها أو مكرهة إلى حيث توجد مصدرة، وهناك يكون عليها أن تباع أو ترهن قرارها للبيع

هكذا تحولت أمريكا إلى معرض للبيع بدلا من أن تكون أرضا لممارسة الحرية والديمقراطية، هكذا تغيرت أساليب الحزبين الجمهوري والديمقراطي على السواء، فبدلا من أن يقودا حملة الأفكار والبلائ ومناقشاتها وتتكامل برامجها لتعرض على الناخبين، أصبح مرشحي الأحزاب هم الذين يعرضون أنفسهم على أحزابهم وهم الذين يتولون تدبير التمويل لحملاتهم وهم الذين يتقدمون

الصفوف إلى عوالم الصور، وعليهم هم وليس على الحزب خلق الانصباعات الكفيلة بفتح الطريق إلى البيت الأبيض وكذلك حمل السليين يتمون إلى المقاعد النيابية.

هذا هو واقع الديمقراطية والانتخابات في أمريكا بعد سيطرة الإعلام على السياسة، ولعل غير تطيق وجدناه لذلك هو الحرب على العراق التي ستفعل فيها الشعب الأمريكي كله من خلال الإعلام التضليلي الذي قاد الحملة مع قرارات العسكريين والسياسيين بإعطائهم المبررات عبر أكاذيب انكشفت أمام الرأي العام الأمريكي قبل غيره، ومع هذا بقيت آلية هذه السياسة مستمرة، وهذا ما يؤكد قرار الحرب واحتلال العراق حيث لم يكن مبنيا على أي شرعية قانونية أو أخلاقية أو إجماع دولي بل إنه (ظهر بعد أيام من الاحتلال الأمريكي للعراق أن جميع الدرائع القانونية والأخلاقية التي دفعت القوات الأمريكية إلى العراق غير صحيحة، بل إن القائلين به كانوا أول من يعرف أنها غير صحيحة فليست هناك أسلحة دمار شامل، وليست للنظام العراقي إمكانية لتهديد الولايات المتحدة أو أوروبا، وليست له صلة بتنظيم القاعدة، وبدأت القوات المسلحة ضيقة الصدر مع كل الأطراف ولم توفر لها القيادة السياسية الغطاء الأخلاقي والقانوني الذي يحفظ لها قيمة وكرامة العلم الوطني .وبدا حرص

شديد من واشنطن على احتواء وكتمان توترات وتقلصات عاشتها العاصمة الأمريكية بين السياسيين والعسكريين.

وهكذا يستنتج هيكل أن الإمبراطورية الأمريكية ستواجه لحظة شديدة الحساسية والأهمية وذلك منطلق الأشياء طالما أن القوات المسلحة أصبحت وسيلة المشروع الإمبراطوري وعليها مسؤوليته.

إن الإعلام الأمريكي وهو يساهم في توظيف معطيات الإرهاب بحجة الدفاع عن الأمريكي إنما يساهم في ترويع وإرهاب الشعب الأمريكي ذاته، وإذا كان الهاجس الأكبر في السياسة الأمريكية إنما يكمن في البحث عن أمنها الذاتي خارج العلاقات الدولية المتوازنة فإن هذا لم يتحقق لها أبدا.

لقد طرح بريجنسكي في كتابه الاختيار هذه المسألة بشكل دقيق، وبحث مسألة الهيمنة الإمبراطورية والانشغال الناجم عن الخوف بالأمن الأمريكي المنعزل، حيث يقول بأن الانشغال الناجم عن الخوف بالأمن الأمريكي المنعزل والتركيز الضيق على الإرهاب وعدم المبالاة بشواغل الإنسانية الفلقة سياسيا لا يعزز الأمن الأمريكي ولا يتوافق مع حاجة العالم الحقيقية للقيادة الأمريكية، وما لم توفق الولايات المتحدة الأمريكية بين قوتها الطاغية وجاذبيتها الاجتماعية

المخوية و مضطربة في آن معا فقد تجددت نفسها وحيدة وعرضة للهجوم فيما تشتد الفوضى العالمية⁽¹⁾.

ويجدر برينسكي من أن الولايات المتحدة القلقة للهووسة بأمنها لخاص يمكن أن تجد نفسها متعزلة في عالم عدائي، وإذا ما أفلتت سعيها وراء الأمن الأحادي من عقاله فقد يحولها إلى حصن عسكري متشرب لذهنية الحصار.

إن الحالة السيكولوجية للشعب الأمريكي تؤكد هذه المعطيات فقد هاش هذا الشعب وقيادته تخيفه من الأطباق الطائرة نارة ومن الشيوعية نارة أخرى، ومن ثم خلقت له هذه القيادة أعداء بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عنها الصين ثم الإسلام كحضارة، وهكذا تجد أن الحرف والترويع هو أساس قيادة أمريكا لنفسها وللعالم فكيف وقد أصبحت القوة العظمى الأولى في العالم اليوم؟.

يقول برينسكي بأنه (ربما تكون الولايات المتحدة الأمريكية فريدة في قوتها في المنظور العالمي، ولكن أمنها الداخلي مهدد على نحو فريد أيضا، وقد يكون اضطرابها إلى العيش في مثل هذا الجو من انعدام الأمن حالة مزمنة على الأرجح) وهكذا يطرح برينسكي السؤال الكبير: وهكذا تجد أن السؤال

(1) الاحتير كالسيطرة على العالم أم قيادة العالم -الافتقنت

الأساسي يدور حول ما إذا كان بوسع الولايات المتحدة الأمريكية أن تتبع سياسة خارجية حكيمة ومستقلة وفعالة وتتجنب مخاطر ذهنية الحصار وتتحاشى في الوقت نفسه مع المكانة التاريخية الفريدة لها بوصفها القوة العظمى في العالم؟).

وحيثما يتساءل عن غرض الهيمنة في سياسة الولايات المتحدة يجب من الممكن الرهان على ما إذا كانت الأمة تسعى لصياغة نظام عالم جديد يقوم على مصالح مشتركة أم تستخدم قوتها المطلقة في الدرجة الأولى لتحصين أمنها الخاص في الدرجة الأولى؟

ثم يستطرد متسائلاً: هل تتوافق الديمقراطية الأمريكية مع دور هيمنة لسياسية مهما كان الحرص على نموه تلك الهيمنة؟ وكيف ستؤثر الضرورات لأمنية لذلك الدور الخاص على الحقوق المدنية؟

هذا يطرح مفهوم قيادة العالم بدلاً من السيطرة عليه، ويؤكد أن أمن الشعب الأمريكي هو الهدف الأول للسياسة الأمريكية العالمية لكن الأمن القومي المنفرد وهم خرافي، فيتعين أن يتضمن السعي وراء الأمن جهوداً تذل من أجل دعم عالمي واسع وبخلاف ذلك يمكن أن يتحول الاستياء إلى تهديد متعاظم لأمن الولايات المتحدة.. أما الهيمنة فليست إلا مرحلة تاريخية عابرة

ولاحقاً إن لم يكن قريباً جداً سوف تتلائم السيطرة العالمية للولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك فليس مبكراً على الأمريكيين السعي إلى تحديد شكل الميراث النهائي لهمبتهم، انه يؤكد أنه سيؤول كل شيء إلى الزوال، والهيمنة لا بد أن تستنفذ تاريخها ثم تذهب، لذا فليس المطلوب السيطرة على العالم بل قيادة العالم وفق مصالح مشتركة للجميع والأمن للجميع، فأمريكا بلد يعيش على الكرة الأرضية وبالتالي يتشارك مع دولها وشعوبها كل شيء وبالتالي فلا من الجماعي هو المطلوب أولاً.

ويصف بريجنسكي احتلال العراق بأنه ناقض ميثاق فلم يسبق ان كانت القدرات العسكرية الأمريكية العالمية بهذا القدر من المصادقية لكن المصادقية السياسية لعالمية لم تكن بهذا القدر من التدني -.

إن خلفيت هذه الحرب والتحايل الإعلامي والتضليل السياسي على الدخول والخارج يظهر بوضوح من خلال كتاب غزو العراق للمؤلف مبلان راي الذي يناقش قبل غزو العراق - الدعاوى الأمريكية والبريطانية في الحرب ويقدم حقائق تواجه برأيه التشويه والكذب الرسمي الذي يتعرض له شعب الولايات المتحدة وبريطانيا في سياق حملة علاقات عامة مذهلة لتسفير حمى الحرب على العراق، ويظهر المؤلف أن استطلاعاً للرأي العام أجراه مجلس

شيكاجو للعلاقات الخارجية في آب 2002 اظهر أن 20٪ فقط من الأمريكيين يؤيدون حرب أمريكية منفردة على العراق كما اظهر الاستطلاع أن 3٪ فقط من الأمريكيين يجيبون بعقوبة إن مثلوا عن الأخطار التي تهدد الولايات المتحدة العراق أو صدام حسين حين طلب منهم أن يحددوا أكبر مشكلتين أو ثلاث تواجهها البلاد.

وكشف المؤلف أن هذه الحرب كانت مطلباً ملحا للإدارة الأمريكية وخططت له قبل أحداث 11 سبتمبر، حيث يذكر على سبيل المثال أنه كان من الممكن أن يسلم ابن لادن قبل عام 1998 كما كان هناك مفاوضات قطعت شوطاً مهماً مع تركي الفصيل المنبر السابق للمخابرات السعودية ولكن قصف أفغانستان والسودان قوض المشروع، بل إنه حتى بعد أحداث 11 سبتمبر كان ثمة فرصة لتسليم أمامة بن لادن في باكستان ومحاكمته هناك وكان من المحتمل أن تقضي هذه المحاكمة إلى تسليمه للولايات المتحدة أو يطبق عليه حكم لن يقل عما يفترض أن تسعى إليه الولايات المتحدة في باكستان خاصة وإن باكستان دولة حليفة لأمريكا، ولكن بريطانيا والولايات المتحدة تجاهلتا الاتفاق وعملت على هدمه

لقد كان الهجوم على العراق كما يقول مصطفى بكري مؤلف كتاب العراق المؤامرة والخيانة والاحتلال هو تعبير عن عداء شخصي يقول (كانت عملية لإطاحة بصرام وعزو العراق هدفا أساسيا حملة بوش الابن معه كموروث عدلي. فقد بكى بل انهار عندما علم بتفاصيل المؤامرة التي أصدها صدام لاغتيال أبيه، ما دفعه في اليوم الثاني لوصوله للسلطة لإبداء رغبته في النار من صدام وقال للمقررين منه أنه تمتلكه رغبة عارمة في الهجوم على العراق حتى لو لم يجد المبررات اللازمة لذلك، فإنه سيطلب بالبحث عن جميع المبررات لدبلوماسية ولعسكرية حتى يفتح الجميع داخل أمريكا وخارجها بأن الحرب التي سيخوضها ضد صدام هي حرب عادلة ومشروعة بكل المقاييس... وخلال الفترة السابقة على أحداث 11 سبتمبر عرضت على بوش عدة تقارير تتهم صدام بأنه المنبع المالي الأول ومصدر التسليح الرئيسي لكل الجماعات الإرهابية وعلى رأسها تنظيم القاعدة، كما طلب بوش من جورج لينيست استطلاع رأي أعضاء الكونغرس والرأي العام الأمريكي حول فكرة قيام أمريكا بعمل عسكري ضد العراق، وجاء فيه أن 83٪ من أعضاء الكونغرس يرفضون، و 86٪ من الرأي العام يرفضون أيضا لأنهم يعتبرون أن صدام لم يعد يشكل خطر على المصالح الأمريكية في الخليج، ومع أحداث 11 سبتمبر طلب بوش

من رئيس وتشيني ورامسفيلد تحديد الأهداف المقررة للعمليات العسكرية الأمريكية واتفقوا جميعاً على الحرب ضد أفغانستان والعراق^(١).

على أن دور الإعلام الأمريكي وتشويهه وتضليله الرأي العام الأمريكي والعالمي لم يبدأ بالحرب، بل بدأ منذ فترة الحصار والقصف الجوي على العراق لفترة، حيث ظهر التحكم بوسائل الإعلام بغير ما وضعت له، حيث يذكر الباحثان رائيا المصري وعلي أبو نعمة في كتاب العراق تحت الحصار (أن الإعلام الغربي يقوم بسبع خطايا في حق الشعب العراقي يومياً فهناك إهمال أو تخفيف لأثر العقوبات على الشعب العراقي وهناك إهمال للتقارير التي تنفض وجهة النظر الغربية وترى معدلات الوفاة وغيرها على حقيقتها وهناك أيضاً الإصرار على شخصته الحرب وكأنها موجهة ضد صدام حسين فقط ولتغافل المقصود عن الشعب العراقي أو العراقي كبلد يضاف إلى هذه التكتيكات والخطايا أساليب التغطية نفسها حيث يتم عادة خلق توازن وهمي لتبرير الضربات القوية وبلا رحمة إضافة إلى المبالغة في تصوير قوة الجيش العراقي

(١) غزو العراق - الاقترن.

والتهديد الذي تمثله لدول الجوار وكلنا الانتقائية في اختيار الخبراء الذين يدلون بتعليقات حول الشعب العراقي والعقوبات⁽¹⁾.

لقد مارس الإعلام الأمريكي الكذب والتماهي مع القرارات العسكرية والسياسية بل لم يحاول حتى مناقشتها بل انجراراً أعمى بادعاء الانتماء للوطنية الأمريكية وكان العراق سيغزو أمريكا لا العكس، لقد صادق بوش حتى على استخدام أسلحة الدمار الشامل النووية ضد العراق تلك التي أطلق عليها اسم قرار الطوارئ العسكري - وهو منفصل عن قرار استخدام القوة العسكرية ضد العراق، وهذا ما أكدته انتوني ارنوف محرر هذا الكتاب وما يزيد هذه السياسة عموماً جواب أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة حينما مثلت عن تسبب الحصار في موت أكثر من نصف مليون طفل عراقي أجابت إنها تعتقد أن ثمرة الحصار تستحق ذلك هذا التصريح الخالي من أي بعد إنساني هو البوصلة الأمريكية الحقيقية بالنظر إلى عالم العرب والمسلمين على أنهم فقط مصدر الإرهاب والنفط لذا يجب نهب النفط ومحاربة الإرهاب.

ويظهر هذا أوضح في إحصائية القتلى العراقيين بعد خمس سنوات من الحرب على شعبه حيث زاد عدد القتلى على المليون شخص معظمهم من

(1) العراق تحت الحصار الاثر المميت للعقوبات والحرب انتشرت.

المدنيين ومع هذا الرقم شبه الرسمي لم يتحرك الإعلام الأمريكي ليقول كفى
لقادة أمريكا وسياسيها وعسكريها.

لقد صرح بوش قبل الحرب بأيام بأنه سيخوض حرباً من أجل حماية
الشعب الأمريكي فصدام يشكل تهديداً لأمن الولايات المتحدة بل ولأمن العالم
وهكذا احتل العراق ففقد الأمن الأمريكي مصداقيته حيث آلاف العسكريين
الأمريكان قتلوا ويقتلون في العراق وحيث الاقتصاد الأمريكي بدأ يفوس في
الديون وينهار الدولار أمام عملات العالم من يورو ودين وجنيه إسترليني.

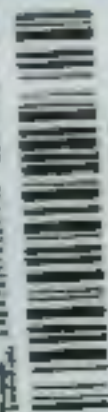
إنه خيانة الإعلام الأمريكي للشعب الأمريكي ولقيم الحرية والمسؤولية
والديمقراطية على السواء وبهذا أصبح إعلاماً إرهابياً يزيّف المعلومات على
الشعب الأمريكي أولاً وعلى الرأي العالمي ثانياً بعد أن كان نموذجاً صارخاً
لك... .. لما للحقة في حرب فيتنام.

مكتب النشر والتوزيع

المرحلة الأولى الأمريكي



Bibliotheca Alexandrina



1213676



دار المعتز للنشر والتوزيع

الأردن، عمان، شارع الملكة رانيا المبدالة، الجامعة الأردنية
مقابل كلية الزراعة عمارة رقم ٣٣ الطابق الأرضي
تلفاكس: ٥٢٥-٦٥٢٧٢-٠٠٩٦٦٢ - ص.ب. ١١١١١١ عمان - الأردن

esaz.daralmutaz.pu@gmail.com